دردشات سياسية

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول

١٤٥

الوعـــي

العدد (١٤٥) ـ السنة الثالثة عشرة ـ صفر ١٤٢٠هـ ـ حزيران ١٩٩٩م

إطلالة على حركات التغيير في العالم الإسلامي بعد هدم دولة الخلافة العثمانية

الانتخابات الإسرائيلية

أخطار على الأفراد والكتلة

حلقات في الفكر السياسي (٢)

كيفية تحويل العملات المحلية إلى عملات ذهبية وفضية

ودع ... ولا توادع (قصيدة)

AL-WAIE

الوعي

السنة الثالثة عشرة – ١٤٥

جامعية – فكرية – ثقافية

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

المراسلات

ص.ب ١٣٥٠٩٩
شوران – بيروت
لبنان

ثمن النسخة

لبنان	:	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	٣ مارك
أميركا	:	٢,٥٠ دولار أميركي
كندا	:	٢,٥٠ دولار كندي
أستراليا	:	٢,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	:	١ جنيه إسترليني
السويد	:	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	:	١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	:	٥٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	:	٢ فرنك سويسري
النمسا	:	٢٠ شلن
باكستان	:	دولار أميركي
تركيا	:	دولار أميركي
اليمن	:	٣٠ ريالاً

إقرأ في هذا العدد (١٤٥)

ص

- كلمة الوعي: أخطار على الأفراد والكتلة ٣
- إطلالة على حركات التغيير في العالم الإسلامي بعد هدم دولة الخلافة العثمانية ٥
- نص المرافعة التي قدمها أحد شباب حزب التحرير للمحكمة في أوزبيكستان ١٢
- حلقات في الفكر السياسي (٢) ١٣
- مع القرآن الكريم: «ألا إن كل ربا موضوع» ١٦
- أخبار المسلمين في العالم ١٨
- في رحاب السيرة النبوية الشريفة: سرية بئر معونة ٢١
- كيفية تحويل العملات المحلية إلى عملات ذهبية وفضية ٢٣
- دردشات سياسية ٢٦
- تعقيب على مقالة: «تأملات في كتاب: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة» ٣١
- ودّعْ ... ولا تُوادِعْ !! (قصيدة) ٣٣
- كلمة أخيرة: الفضائيات الناطقة بالعربية ٣٥

إلى السادة الكتّاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- نرجو ترقيم ووضع خط تحت جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في بيروت.

عناوين المراسلين

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: 301513
10749 Berlin
Germany

أستراليا
AL - WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

England
AL -WAIE
P.O.Box 2629
London N9 9UW
U.K

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

كندا : Canada
AL - WAIE
2376 Eglinton Ave. East
P.O.Box # 44553
Scarborough, ONT. M1K 2PO

اليمن
Mr. M. Amer
P.O Box: 11610
Sanaa - Yemen

النمسا
S. HASSAN
P.O.Box 82
A - 1127 WIEN
Austria (Vienna)

أميركا U.S.A
AL - WAIE
P.O.Box 37932
MILWAUKEE, WI. 53237

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمـة الوعـي

أخطـار على الأفراد والكتلـة

الحياة الدنيا دار ابتلاء، والآخرة هي دار الجزاء، والمسلم ينتظر البلاء كل لحظة، ويوطّن نفسه على الصمود والثبات، بانتظار ما يجد من بلاءات، يواجهها صابراً برباطة جأش المؤمنين الصابرين المحتسبين. فالله تعالى يقول ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ۞﴾، وفي الابتلاء تمحيص، وتكفير عن الذنوب ورفع للدرجات ﴿وليمحص الله الذين آمنوا﴾، وحامل الدعوة فوق ذلك معرَّض للفتنة عن حمل الدعوة ﴿أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون ۞ ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ۞﴾ والابتلاء بالخير فتنة، والابتلاء بالشر فتنة ﴿ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة﴾فكم من حامل للدعوة تخلّف عن حملها بسبب الحرص على ما هو فيه من خير ونعيم، ورغد من العيش. ولكنّ الفتنة الأخطر هي الابتلاء بالشرّ، ومنها الملاحقة والاضطهاد، والتشريد والتعذيب، وقطع الأرزاق، والزج في السجون، وهنا تبرز نوازغ الشيطان المتربص بالمسلم لينقض عليه في لحظة غفلته عن ربّه. يقول تبارك وتعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ والصورة المقابلة لهذه الصورة المحِطة المثبِّطة ﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ۞﴾، ولتحصين النفس ضد نوازغ الشيطان، لا بُدّ من دوام الصلة بالله تعالى، بالالتجاء إليه، والتماس العون منه على النفس الأمّارة بالسوء. وعلى أعداء الله. وأفكار العقيدة الإسلامية تبعث في النفس المؤمنة الطمأنينة والرضا، فالرزق مقسوم، والأجل محدود، (وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك)، (وكل أمر المسلم خير)، ففي الصبر على الابتلاء أجر، وفي الحمد على النعماء ثواب، ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾، هذه الأفكار من مفردات العقيدة الإسلامية، إن بقيت حية فاعلة في نفس المؤمن، تبعث فيه القوة والصلابة، والاستخفاف بالعقبات، والتعالي على المغريات ﴿يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾. ومن الافتتان، التجاوب مع نصيحة مخلص، أو وصية كهل، بضرورة الاعتدال، وعدم التصادم مع (من إذا قال فعل)، لأن في ذلك تثبيطاً، وتراجعاً عن الاندفاع، وربما أدى ذلك إلى الحيود عن الطريقة، أو تليين الإرادة.

أما الكتلة، ففي حالات الكفاح السياسي، ومقارعة الظالمين، ومحاسبة الحكام الخائنين، تتعرض لمحاولات الاحتواء بالإغراء بالمكاسب الآنية، أو بالتهديد بالقمع والاضطهاد الوحشي، ولكنّ الثبات أمام هذه المحاولات يزيدها صلابة، ويزيد التكتل تماسكاً، ويجلب احترام الناس لها، والتفاف المخلصين من حولها؛ وليس لهذه المحاولات حظ كبير من النجاح، لأن الكتلة منذ بدأت تقوم بمهامها تعرف ما ينتظرها على أيدي جلاوزة السلطة، ولهذا فهي توطّن نفسها على الثبات ومواصلة الكفاح وتصعيده كلما اقتضى الأمر ذلك، لأنها تدرك بشكل محسوس أن أيّ مظهر ملاينة للحكام، سيُطمع فيها أعداءها، وستخسر بذلك صدقيتها واحترامها لدى أبناء أمتها الذين هم رصيدها وعدّتها في استرجاع السلطان للأمة صاحبة الحق، وواهبته لمن ترتضيه حاكماً لها ومنفّذاً لإرادتها.

أما الخطر الثاني، فهو محاولة حرف الكتلة عن فكرتها أو عن طريقتها، وفي ذلك الطامة الكبرى، لأن الكتلة قامت على فكرة واضحة مبلورة، وتعمل لإيجادها في واقع الحياة بطريقة محدّدة

المعالم، فأي انحراف عن الفكرة، أو أي تنكب عن الطريقة، يغيّر حقيقة الكتلة، ويحوّلها إلى كتلة أخرى مغايرة لها في جوهرها وفي سماتها. ويظهر هذا الخطر بشكل أوضح، حين تتأخر الكتلة في تحقيق غايتها التي قامت من أجلها، فتكثر الاجتهادات والتحليلات، ولا بُدّ عندها من مداومة الاطمئنان إلى أن الفكرة في مأمن، ولا بد من مداومة مراجعة انطباق السير على طريقة المصطفى ﷺ، مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف الأحوال. ويرتبط بهذا الخطر، خطر آخر، وهو خطر الانقسام والتشظي، فقد يرى بعض أفراد التكتل أن تحليلهم لأسباب التأخر في تحقيق الغاية، أدق وأصدق من تحليل غيرهم، فينفصلون عن جسم الكتلة، سيما إن كان بينهم من يداني قيادة الكتلة فهماً ووعياً، وليس في ذلك كبير خطر على عمل الكتلة الأصلية، إن لم ينشغل الأصل والفروع ببعضهم عن العمل في الأمة، أما إن ساروا في موازاة بعضهم، مع التعاون فيما يتفقون فيه، والتنافس في كسب ولاء الأمة، وهدم ثقتها بقادتها وحكامها، فليس في ذلك ما يضير كثيراً.

أما الخطر الثالث والأخير فهو يظهر حين تنجح الكتلة في تفاعلها مع الناس، فيلتف الناس من حول شبابها، ويعاملونهم بالاحترام والتقدير، وينعتونهم بأحسن الأوصاف، ما يبعث في نفوس بعض ضعاف النفوس الغرور، فيستعلون على أبناء أمتهم، وربما استعلوا على أبناء كتلتهم من صغار السن، أو حديثي الانتماء، أو قليلي الخبر، أو محدودي القدرات. فتظهر الشللية داخل الكتلة، ويكثر الاستزلام، وتصبح المسؤولية تشريفاً لا تكليفاً، ويُتسابق عليها، ويكثر

التجريح في المنافسين، وينسى الشباب قيمهم الرفيعة، فينسون من هم، ويغفلون عن الغاية التي اجتمعوا لتحقيقها، ونذروا أنفسهم وما يملكون من أجل رؤيتها حية في واقع الحياة العملية. وبالنسبة للأمة، تحس الكتلة أنها ليست جزءاً من الأمة، أو أنها جزء من جنس رفيع متميز عن الأمة، فتنفض عنها الأمة بعد احتضان، وتسلمها إلى عدوها يبطش بها وهي تتفرج، وشامتة، ربما، بما أصابها، لأنها لم تجدها معقداً للآمال، ولا موئلاً للرجاء. وفي ذلك الانهيار الذي لا قيامة بعده.

وقد حذّرت الكتلة من جميع هذه الأخطار، ومن آخرها بشكل أشد، لأن هذا الخطر كفيل أن يهدم الكتلة قبل تحقيق غايتها، وأن يدمرها بعد تحقيق الغاية. وفي التبصير بالخطر قبل وقوعه ضمانة لعدم وقوعه؛ ثم إن الكتلة تؤكد دائماً على أنها خادمة للأمة، لأنها أمة الإسلام، أمة محمد عليه الصلاة والسلام، فهي أمة كريمة، ومن واجب الكتلة أن تقوم بخدمتها خدمة لدينها ولنبيّها ﷺ. ثم حذّرت الكتلة وبشدة، من إشعار الأمة أننا لسنا جزءاً منها، بل نحن جزء من أمتنا، نفرح لفرحها، ونغضب لما يؤذيها، وإن كانت مجموعة المفاهيم والمقاييس والقناعات التي نحملها تخالف ما عند الأمة من مفاهيم ومقاييس وقناعات، وأننا نريد تغيير ما عند الأمة ليصبح ما عندها هو ما نحمله، وما نريد أن نوصله إلى السلطة.

أما الطبقية داخل الكتلة، فإن التركيز على أن المسؤولية هي مزيد من الأعباء، ومزيد من الأعمال، وبالتالي مزيد من المساءلة في الكتلة في الحياة الدنيا، وبين يدي رب العالمين، يوم توفّى كل نفس ما عملت، هذا التركيز على هذه البدهيات كفيل بردع النفوس المتشوّفة عن التعالي، وبلجمها عن تجاوز حدودها، بالتعدي على كرامات الآخرين، وبالاستعلاء عليهم، واستصغار شأنهم، والاستخفاف بإمكاناتهم. هذا وإن الفشل في المسؤولية يورّث النفس الهم والكمد، ويعرّض المسؤول للنقد والملامة. أما نجاح المسؤول في القيام بواجبات المسؤولية، ومنها رعاية إخوانه، والأخذ بيدهم، والرفق بهم، والتلطف إليهم، فإن فيه مجلبة لرضى النفس، ﴿ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ۞﴾

إطلالة على حركات التغيير في العالم
الإسلامي بعد هدم دولة الخلافة العثمانية

بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين لهدم دولة الخلافة، عقدت «كتلة الوعي» في جامعة «بيرزيت» في بيت المقدس مؤتمراً، هو الرابع في سلسلة المؤتمرات التي تعقدها بهذه المناسبة المؤلمة. وكما جاء في التعريف بهذا المؤتمر «وليس هذا المؤتمر بمؤتمر رثاءٍ وبكاء على الأطلال، بل هو وقفات للعبر، وشحذ للهمم، وإذكاء للمسؤولية وتذكير للغافل، ومعونة للذاكر، نتدارس فيه ما يهم المسلمين من مشاكل ونطلق صرخة نداء للمسلمين (أن هلموا إلينا فإن الرائد لا يكذب أهله).

نعم، نطلق نداءً حاراً من قلب يحترق، على ما أصاب هذه الأمة الكريمة ونحرك فيها إيمانها، ونخوة أجدادها الصحابة الأوائل ومن سار على نهجهم، فقد طال التصاقنا بالأرض وآن الأوان أن ننهض وننفض غبار الذل و المهانة ونرفع راية العقاب، ونعيد دولة الإسلام، دولة الخلافة الراشدة.» وفيما يلي نص إحدى المحاضرات التي ألقيت في المؤتمر.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد أيها الحضور الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...،

<u>مقدمة</u> : إن التصدع الذي أصاب كيان الأمة الإسلامية قد حصل نتيجة هزة عنيفة أطاحت بالرأس، وخلخلت المفاصل، وكسرت الأطراف، وعطلت عمل الأجهزة الداخلية. فوقع العملاق الإسلامي شاخص العينين، منخسف الصدغين، مرخي القدمين، معوج الأنف، وقد ظهرت عليه معظم علامات الموت عند الفقهاء وعند العلماء، حتى أوشك كثير من الناس أن يحكموا بموته، ولربما صدر ذلك الحكم عند البعض. ولكن الحقيقة أن قلبه لا زال نابضا من غير أجهزة تنفس اصطناعية، ما يقطع بأن سر الحياة باق فيه. وبناءً عليه فإن محاولات إحيائه والنهوض به لن تكون يائسة ما دامت الروح فيه. وروحه وسر حياته هي عقيدته، وهي قيادته الفكرية، وهي قاعدته الفكرية التي يبنى عليها كل فكر، وتتحدد في ضوئها كل وجهة نظر. ولذلك فلا يلزم لإنهاضه إلا جهود المسلمين المخلصين الموجهة في المسار الصحيح. وأما الجهود خلا ذلك، والتي

بذلت خارج نطاق الإسلام لإحياء كيان الأمة الإسلامية فإنها تعتبر ضائعة كالهباء المنثور، وأصحابها انتهازيون ضالون، أو جهلة مضلّلون، لأنهم تصرفوا في مال لم يمت صاحبه بعد، وإجراءات التصرف في تركة الرجل لا تحل إلا بعد موته ودفنه، والتأكد من عدم عودته إلى هذه الدنيا. ومن هنا فالحديث عن التغيير أو الإصلاح لا يُقبل إلا إذا كان منسجماً مع المبدأ الإسلامي، ولا بد من استناد كل خطوة من خطوات هذا العمل إلى الشريعة الإسلامية. وفي الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد». والالتفات إلى ما قامت وتقوم بهحركات التغيير الوطنية أو القومية أو الإقليمية، لا يكون من باب تثمين الإنجازات، أو احترام الرأي الآخر، ولكنه ضروري لبيان السّفه المنهجي، وخطأ المنطلقات، والتحذير من سوء العاقبة في الدنيا والآخرة، وإظهار العبث

الفاضح الذي تمارسه تلكم الحركات بالأسس والثوابت التي قامت عليها، فلعل أتباعها من المسلمين يثوبون إلى رشدهم، ويرجعون عن غيهم. أما الحركات الإسلامية على اختلاف توجهاتها، وبغض النظر عن سلامة سيرها، فستحظى بنصيب وافر من هذه الإطلالة المتواضعة حتى نستطيع أن نحقق من خلالها رسم صورة واضحة لخريطة العمل الإسلامي في هذا الوقت العصيب من تاريخ الأمة الإسلامية، راجياً من الله سبحانه وتعالى أن يسهم ذلك في إجراء مراجعة شاملة لمسيرة العمل الإسلامي تنقله إلى موقع أقرب نحو الهدف الذي يصبو إليه. ولست أزعم أنني سأوفي الموضوع حقه بقدر ما آمل أن يكون ذلك صرخة في عقول أبناء الأمة المخلصين تناشدهم أن يفتحوا هذا الملف الكبير والهام، ويتخذوا حياله ما يلزم من الدرس والتمحيص وأخذ العبر، والعمل على إعطائه الأولوية على كل أمر، كونه رأس كل أمر.

نبذة تاريخية عن هدم دولة الخلافة الإسلامية (العثمانية): ونحن بصدد إحياء ذكرى هدم دولة الخلافة يحسن بنا أن نتعرف على أبرز المعالم في مشروع الحقد والغدر والخيانة الذي أودى بخلافتنا وهدم دولتنا ورمز عزتنا والتي استمرت قروناً طويلة تطبق الإسلام وتحمله إلى العالم رسالة هدى ونور. يقول السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله في مذكراته: (ولكن الدول الكبرى التي تحكم شعوباً مسلمة عديدة في آسيا مثل انجلترا وفرنسا ترتعد من سلاح الخلافة الذي أحمله، لهذا السبب استطاعوا الاتفاق على إزالة الدولة العثمانية). ويقول د. مصطفى حلمي في دراسته لكتاب (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة) لشيخ الإسلام مصطفى صبري، بعنوان (الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة الإسلامية): (وخلاصة القول إن نظام الخلافة ـ ولو في شكله الضعيف الأخير ـ كان كفيلاً بصد هجمات الغرب الاستعماري الذي جاء غازياً بروح الحروب الصليبية في القرن العشرين. وكان يكفي أن يعلن الخليفة الجهاد حتى يهب والعالم الإسلامي على قلب رجل واحد بسبب وحدة العقيدة والهدف، والتماسك الوجداني، والخضوع لأمر رجل واحد هو الخليفة، لعلمهم أنه يمثل الخلافة الإسلامية منذ أبي بكر الصديق رضي الله عنه الذي كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم). وأورد عبد الفتاح مقصود في كتابه (صليبية إلى الأبد) قولاً للورنس الجاسوس الإنجليزي الثعلب جاء فيه ما يلي: (فإذا تمكنا من التحكم بهم بصورة صحيحة، فإنهم ـ أي المسلمين ـ سيبقون منقسمين سياسياً إلى دويلات تحسد بعضها البعض لا يمكن لها أن تتحد). وقد قيل الكثير في هذا المجال، ومن أراد الاستزادة فيمكنه مراجعة الكتب المذكورة آنفاً، بالإضافة إلى كتاب المرحوم محمد محمد حسين بعنوان: (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) وغيره من الكتب النادرة في الوفاء بأبسط استحقاقات هذا الأمر الجلل. ويبقى الشيء المهم في هذا السياق أن نتعرف على أبرز الأسباب التي أدت إلى وقوع الكارثة الفظيعة.

<u>أولاً</u>: ضعف فهم المسلمين لإسلامهم، وعدم إحسانهم تطبيق أحكامه. وتمثل ذلك في أعمال تتعلق بنصوص الإسلام، وأخرى تتعلق باللغة العربية، وأخرى تتصل بانطباقه على وقائع الحياة، حتى غدا الإسلام في نظر المسلمين فكرة خيالية غير قابلة للتطبيق.

<u>ثانياً</u>: قيام الغرب بالغزو الثقافي لبلاد المسلمين، حيث حمل لهم حضارة تناقض حضارة الإسلام وأوهمهم أنه أخذها منهم، وصدّقه في ذلك بعض مفكريهم وعلمائهم، وأتاهم بأنظمة وقوانين تناقض الإسلام وقال لهم أنها لا تخالف الإسلام.

<u>ثالثاً</u>: اتخاذ الأعمال العسكرية طريقة لوصول الأحزاب السياسية الإسلامية إلى الحكم، بدلاً من اتخاذ الأمة طريقة لذلك، ففقدت البيعة الشرعية معناها الحقيقي، وتطبيقها الشرعي. وبدأت العروة الأولى من عرى الإسلام بالانتقاض وهي الحكم، ومنذ زمن الأمويين إلى أن سقط آخر خليفة عثماني.

رابعاً: سكوت بعض الخلفاء عن ولاة لهم استقلوا في ممالكهم وانفصلوا عن جسم الدولة، كما حصل أيام السلجوقيين والحمدانيين وغيرهم.

خامساً: إعطاء الولاية العامة للولاة ما أعطاهم صلاحيات واسعة حركت فيهم أحاسيس السيادة، وأطمعتهم بالاستقلال، كما حصل في الشام والأندلس وغيرهما.

سادساً: حمل الإسلام قيادة عسكرية لا قيادة فكرية سياسية، ما شوّه صورته في نظر الأمم الأخرى، وكانت تلك طريقة آل عثمان في الفتوحات وحمل الدعوة الإسلامية.

سابعاً: إقفال باب الاجتهاد وانخفاض عدد المجتهدين بشكل حاد وصل إلى مستوى الندرة.

ثامناً: تخلف الدولة العثمانية من الناحية العلمية والصناعية، متزامناً مع تقدم أوروبا في هذه المجالات.

تاسعاً: اقتطاع أعداء الإسلام أجزاءً من الدولة الإسلامية دون قدرتها على الرد، ما أضعف هيبتها الدولية وأطمع فيها الطامعين، كما حصل في البلقان وإيران، وجنوب الجزيرة العربية.

عاشراً: تغلغل الغزو التبشيري باسم العلم والمساعدات الإنسانية في كيان الأمة الداخلي يفرق صفوفها ويشعل نار الفتنة داخل البلاد الإسلامية، وتجنيد أبناء المسلمين في خدمة هذا التيار.

حادي عشر: ظهور فكرة القومية في جميع أجزاء الدولة .. في البلقان وتركيا والبلاد العربية وأرمينيا وكردستان، وإثارة النعرة القومية لدى كل من العرب والعجم، وإيجاد أحزاب ورجالات من بين المسلمين ينادون بأفكار الاستقلال، وفصل الخلافة عن الحياة السياسية بل والمطالبة بإلغائها.

ثاني عشر: دور الإخطبوط اليهودي الصهيوني كأداة فعّالة للدول الأوروبية الصليبية الحاقدة وخاصة بريطانيا وفرنسا.

ثالث عشر: دخول الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا وخروجها مهزومة، فانهارت وقضي عليها. وأعلن بعد ذلك إلغاء نظام الخلافة رسميا في ٣ آذار من عام ١٩٢٤م، ابتلينا بعدها بما يزيد عن الخمسين دويلة مكان الدولة العملاقة فكانوا كقطع الزجاج المتناثر من إبريق مكسور تؤذي من يتحرك في محيطها ولا تحمل للمسلمين أي خير.

المحاولات التي بذلت لوقف التدهور ومعالجة الموقف المتردي: يقول الشيخ تقي الدين النبهاني رحمه الله في كتيب "التكتل الحزبي" وهو من منشورات حزب التحرير ما نصه: (منذ القرن الثالث عشر الهجري ـ التاسع عشر الميلادي ـ قامت حركات متعددة للنهضة، كانت محاولات لم تنجح، وإن تركت أثراً فعالاً فيمن أتى بعدها، ليعيدوا المحاولات مرةً أخرى..)، ثم يقول: (وكان إخفاق جميع هذه الحركات طبيعياً، لأنها لم تقم على فكرة صحيحة واضحة محددة، ولم تعرف طريقة مستقيمة، ولم تقم على أشخاص واعين، ولا على رابطة صحيحة ..)، ثم يمضي فيقول: (وهذه الحركات كانت حركات إسلامية وحركات قومية. فكان القائمون على الحركات الإسلامية يدعون إلى الإسلام بشكل مفتوح عام، ويحاولون أن يفسروا الإسلام تفسيراً يتفق مع الأوضاع التي كانت قائمة حينئذ، أو التي يراد أخذها من الأنظمة الأخرى، حتى يصلح الإسلام لأن يطبق عليها، وحتى يكون هذا التأويل مبرراً لبقائها أو أخذها. وأما القائمون على الحركات القومية فقد كان العرب منهم يدعون إلى قيام نهضة العرب على أساس قومي غامض مبهم، بغض النظر عن الإسلام والمسلمين، وكانوا يعتمدون على ألفاظ القومية والعزة والكرامة والعرب والعروبة والاستقلال دون أن يكون لهذه الألفاظ أي مفهوم واضح عندهم يتفق مع حقيقة النهضة. وكان الترك منهم يدعون إلى قيام نهضة الوطن التركي على أساس القومية، ويوجه دعاة القومية من العرب والترك بتوجيه الاستعمار الذي كان يوجه البلقان أيضاً بهذه الحركات القومية لاستقلاله عن الدولة

العثمانية بوصفها دولة إسلامية.

أيها الحضور الكرام:

بما أن أصابع الاتهام موجهة بشكل صريح إلى الحركات القومية والوطنية من قبل العليمين بالمجتمعات والباحثين المنصفين أنها عميلة للاستعمار، والشهود قد فاقوا حد التواتر في إثبات تلك التهمة، وأنها شكلت محوراً أساسياً في عملية الهجوم على الدولة الإسلامية والقضاء عليها، وإقامة دويلات قومية ووطنية على أنقاضها، وهو ما يعرف اليوم بالدول العربية وما يسمى زوراً وبهتاناً بالدول الإسلامية، فينبغي على كل مسلم أن يضعها في قفص الاتهام ودائرة النبذ. وهاقد مضى على بعضها في الحكم نيفاً وسبعين عاماً فماذا فعلوا بالأمة وهم الحكام وبيدهم مقاليد الأمور وقرارهم نافذ وجيوبهم منتفخة؟ والجواب على هذا السؤال يمكن إجماله في النقاط التالية:

١ ـ كافة هذه الدول مصنفة من دول العالم الثالث، وليس في المنظور انتقالها إلى العالم الثاني.

٢ ـ ما خاضت واحدة منها حربا حقيقية مع أعداء الأمة، وإذا فعلوا فمع بعضهم البعض، أو في معارك مصطنعة زادت من نفوذ الكفار في بلاد المسلمين.

٣ ـ تضاعفت في عهودهم النحسة أعداد تاركي الصلاة ومانعي الزكاة أضعافاً كثيرة، وارتفعت نسبة السفور والجرائم الأخلاقية، وازداد المسلمون من الله بعداً.

٤ ـ تدهور اقتصاد جميع تلك الدول، وانخفضت قيمة عملاتها، وزاد حجم مديونياتها الربوية إلى أرقام خيالية، وحتى الدول النفطية ركبتها الديون. وكذلك ارتفعت نسبة البطالة والمنتسبين إلى الشوارع نظراً لغياب المشاريع الاستثمارية التي تستوعب عمالة كثيرة كالصناعات الأساسية لا التحويلية أو التجميعية، ناهيكم عن سرقة الأموال العامة وإيداعها في حسابات سرية خاصة في البنوك الأجنبية.

٥ ـ أذكيت نيران الفتنة بين الشرائح السكانية ولأسباب تافهة، وترسخت حالة العداء بين شعوب تلك الدول، وأفسدوا على الناس فطرتهم النقية حين بثّوا الريبة فيهم من خلال أجهزة المخابرات الكثيفة.

٦ ـ ساهموا جميعا بشكل مباشر وغير مباشر في إنشاء دولة إسرائيل والمحافظة على بقائها وأمنها.

٧ ـ وقفوا جميعا سداً منيعاً في وجه حملة دعوة الإسلام الذين يهدفون إلى إيصال الإسلام إلى الحكم، بل إنهم حاربوا بشراسة منقطعة النظير كل من يقوم بأي عمل من شأنه الأمر بالمعروف والنهي عن منكراتهم التي لا تعد ولا تحصى.

٨ ـ عملوا جميعاً دون استثناء تحت سيادة الغرب الكافر بريطانياً كان أم فرنسياً أم أميركياً، ولم يعرف عنهم استقلال قط في ممارساتهم وسياساتهم، خاصة الخارجية منها.

٩ ـ ربطوا دولهم وقذفوا شعوبهم في أتون منظمة الأمم المتحدة الكافرة ومؤسساتها اللئيمة، والتي ما فتئت تمارس أبشع ألوان الاستعمار وفرض الهيمنة على الشعوب المستضعفة. ودخلوا في تحالفات إقليمية مشبوهة فما زادتهم غير تخسير.

وخلاصة القول في الحركات القومية والوطنية أنها ثمار خبيثة للمخطط الإجرامي الذي أطاح الدولة الإسلامية العثمانية التي كانت استمراراً للدولة الإسلامية الأولى، والتي أقامها الرسول عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة، وأسست على التقوى من أول يوم، وأما الدول التي أقامها الاستعمار للحركات الوطنية والقومية فهي دول ضرار أسست على شفا جرف هار، فلا بد من هدمها وإزالة آثارها.

وإلى جانب الحركات الوطنية قامت حركات شيوعية تقوم على أساس المادية، وكانت هذه الحركات تابعة للحركة الشيوعية في روسيا، وكان إخفاقها طبيعياً لأنها تخالف فطرة الإنسان وتناقض عقيدة الإسلام فلم تتجاوب معها الأمة.

الحركات الإسلامية : أما الحركات الإسلامية فإنها أخذت أشكالاً متعددة، وقامت على اعتبارات متباينة ودوافع شتى. ويمكن بعد الاطلاع على تاريخها وظروف نشأتها ومنهاجها الحركي وواقعها المعاصر تقسيمها إلى الفئات التالية:

أولاً: حركات إصلاحية: (المهدية)، (الإخوان المسلمون) و(جماعة الإسلام).

ثانيا: حركات انقلابية: (الشيعة ـ مذهبية)، (حزب التحرير ـ غير مذهبية).

ثالثاً: حركات تعبدية: (الصوفية)، (التبليغ)، (السنوسية).

رابعاً: حركات تراثية: (السلفية)، (جمعية إحياء التراث).

خامساً: حركات جهادية: (الجهاد)، (حزب الله)، (الأحزاب الأفغانية).

سادساً: حركات دستورية: (جبهة الإنقاذ)، (الرّفاه)، (الفضيلة)، (النهضة).

وقبل أن أسترسل في إطلالتي هذه على الحركات الإسلامية ينبغي التنبيه إلى مسألة هامة، حتى لا يساء فهمي، وهي أني لا أغمط أحداً حقه، ولا أدعي العصمة، ولسان حالي يردّد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۞﴾. فجميع الحركات الإسلامية قد تركت بصماتها على الساحة الإسلامية بشكل أو بآخر، ولها حضورها الذي لا يمكن للعين أن تخطئه. ولكنني اليوم بصدد الإطلال عليها من نافذة النقد الموضوعي وليس جلد الذات. فشباب الحركات الإسلامية أخوتي في العقيدة، أحبهم في الله، وأدعو لهم ولا أدعو عليهم. ولكني أقول إن الله سبحانه وتعالى جعل الناس متفاوتين في كل شيء حتى العلم، حيث يقول جل وعلا: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞﴾. فلا غرابة أن تتفوق حركة على أخرى في فقه أو فكر أو سعة اطلاع، أو قدرة على مجابهة الطغاة، أو غير ذلك مما يوجد الفوارق بين الناس. ونعود الآن إلى الحركات الإسلامية لنجد أنها تقسم من حيث الولادة الفكرية والمنهجية الحركية إلى قسمين: الأول يقوم على اجتهاد، والثاني لا يقوم على اجتهاد.

والمقصود بكلمة "اجتهاد" هنا أن يكون للحركة رأس تتوفر فيه شروط الاجتهاد الشرعية، وله أصول متبناة يخرّج فروع تبنياته عليها، وللحركة منهاج منبثق من الكتاب والسنة وما أرشد إليه الكتاب والسنة، وتصور واضح لواقع المسلمين وقت تأسيس الحركة، وللواقع الذي يجب أن يكونوا عليه، حتى يكون العمل محدداً، والغاية مبلورة. والذي دفعني لوضع هذا المقياس الذي نحكم من خلاله على الحركات والجماعات الإسلامية هو كون المسألة المراد بحثها في هذا السياق لم تبحث فيما مضى من أزمنة المسلمين، حيث أن الدولة الإسلامية استمرت دون انقطاع يذكر، ولم يجد علماء المسلمين أنفسهم أمام الظرف الذي نواجهه اليوم من زوال دولة الإسلام، فما احتاجوا لبحث هذا الواقع أبداً، وبالتالي لم تستنبط له أحكام شرعية لعلاجه، ولم يخطر ببال أحد منهم أن يفترض حصول مثل هذا الخطب الجلل. وعليه فلا يمكن الرجوع إلى كتب الفقه التراثية للبحث عن حكم العمل لاستئناف الحياة الإسلامية، بل لا بد من الاجتهاد في هذا المستجد، وبذل الوسع في طلب معرفة حكم الله فيه بشيء من الحكم الشرعي على وجه يُحس من نفس المجتهد العجزُ عن المزيد فيه.ومن هنا كان لا بد لكل من يتصدى للعمل في هذا الميدان أن يكون مؤهلاً للاجتهاد.

ونحن إذا دققنا النظر لوجدنا أن معظم الحركات الإسلامية الحالية لم تقم على اجتهاد، بل قامت على أسس ظرفية

طارئة أوجدتها ظروف معينة، أو قامت على أساس صداقات بين أشخاص لاءمت بينهم هذه الصداقات، أو وجدت بينهم مصالح تكتلوا لتحقيقها، وداروا حول مصالحهم، بل أداروا أحكام الإسلام حول مصالحهم. ونجد أن بعض تلك الحركات قد قام على أساس الجمعيات الخيرية الهادفة للتخفيف من معاناة المسلمين جراء تقصير حكامهم، فبنت المدارس والمستشفيات والملاجئ، وساعدت في أعمال البر والخير، ولربما صاحب ذلك نشرُ شيء من الثقافة الإسلامية المسموح بها، كالدعوة إلى الأخلاق والوعظ والإرشاد، والقيام ببعض العبادات كالدعوة إلى الصلاة أو الزكاة أو الحج والعمرة، والحض على الدعاء والتسبيح والابتهال، وغير ذلك من الإصدارات التي تحمل مواد ثقافية إسلامية مفتوحة لا تنتج شخصيات إسلامية قادرة على حمل الدعوة الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بواجب العمل لاستئناف الحياة الإسلامية التي انقطعت، وإقامة الدولة الإسلامية على أنقاض حكم الطاغوت الجاثم على صدور المسلمين. فهذه الحركات قد أخفقت في فهم طبيعة المجتمعات ووسائل إصلاحها، وبالتالي غاب عنها أن وسائل إصلاح الجماعة غير وسائل إصلاح الفرد ولو كان جزءاً من الجماعة، لأن فساد الجماعة آت من فساد مشاعرها الجماعية التي أوجدتها الأنظمة الحاكمة بإعلامها المضلل ومناهجها التعليمية المتأثرة بالغرب، ومن فساد أجوائها الفكرية والروحية، ومن وجود المفاهيم المغلوطة عند الجماعة أو ما يسمى بالعرف العام. وإصلاح العرف العام لا يتأتى إلا من تطبيق النظام الإسلامي من قبل الدولة التي تصلح مشاعر الجماعة، وتوجد الأجواء الروحية الصحيحة، والأجواء الفكرية التي تتصل بالناحية الروحية. وأكبر دليل على ذلك أن البلاء الذي حل بالمسلمين من فساد خلقي وبعد عن الدين وانهيار لكل المثل والقيم العليا وسوء الرعاية الفاضح، لم يحصل إلا بعد زوال نظام الإسلام السياسي بهدم دولة الخلافة. ولم نسمع عبر قرون طويلة من عهود الدولة الإسلامية المتعاقبة عن مثل هذه الانهيارات الفظيعة والتقصيرات الفاضحة. هذا بالنسبة للحركات الإصلاحية. أما الحركات التي تركز على النواحي التعبدية فهي حركات قاصرة تماماً عن أن تحدث أي أثر يذكر في مجال التغيير رغم كثرة عدد منتسبيها نظراً لخلوها من أية منهجية حركية ذات طبيعة مرحلية هادفة ومحددة، بل إنها تكرر ذاتها في كل نشاط تقوم به، وتزداد اغتراباً عن المسلمين لبعدها عن قضاياهم، وعدم متابعتها لمستجداتهم، وهي تعلن أنها لا تعنى بالتغيير، ولا تفكر بتطوير أساليبها.

وأما باقي الحركات التي لم تقم على اجتهاد أيضاً، ولكنها ساهمت في قضايا إسلامية ذات طابع سياسي، وكانت أقرب من غيرها إلى الساحات الساخنة في حياة المسلمين، فإن رجالها قد انخرطوا في العمل الدعوي الواقعي تحت مظلة سلاطين الملك الجبري، ظانين أنهم بأدائهم هذا سيصلون إلى صبغ المجتمع بالصبغة الإسلامية، مراهنين على ثغرات دستورية، أو نصوص صريحة في القانون وضعت أصلاً للسماح لهم بالعمل. كالأحزاب الإسلامية التي عملت في صفوف المعارضة في كل من تركيا والأردن والسودان والجزائر وباكستان وغيرها تحت سمع وبصر النظام الحاكم في كل بلد. وقد تطور الأمر مع بعض تلك الحركات أن أوشكت على الوصول إلى الحكم عن طريق الانتخابات البرلمانية فسحقها النظام وأجهض مشروعها، كما حصل في الجزائر مع جبهة الإنقاذ. وقد وصل بعضها بالفعل إلى سدة الحكم كما حصل مع حزب الرفاه بزعامة نجم الدين أربكان الذي لم يفعل شيئاً يذكر، لأنه في الحقيقة محكوم بجنرالات الجيش ـ الحاكم الحقيقي في تركيا. وأما ما يشاع عن الحكم الإسلامي في السودان فذلك تلبيس لا يرقى إلى مستوى النظر في مجال التغيير نحو إقامة الدولة الإسلامية والمجتمع الإسلامي الذي يحكم بما أنزل الله، فيطبق الإسلام في الداخل ويحمله إلى العالم رسالة هدى ونور في الخارج. وأما شيعة إيران فإنهم ـ وإن ملكوا ناصية الاجتهاد، ويكادون يرتقون إلى مستوى الحزب السياسي الإسلامي ـ إلا أن بصيرتهم السياسية ضعيفة، ما مكن أميركا من تسخيرهم لخلع الشاه وإقامة دولة إيران على أسس

قومية مذهبية، فتحجم دورها الشمولي في تطبيق الإسلام وحمل دعوته. بل إن وصول تيار محمد خاتمي إلى سدة الحكم يعتبر مؤشراً سلبياً قوياً على تراجع إيران حتى عن مذهبيتها الضيقة، فضلاً عن ادعائها بأنها دولة إسلامية.

أيها الحضور الكرام:

أما بالنسبة للحركات الجهادية التي تصدت لإنكار منكرات معينة، والأمر بمعروفات معينة، طبقاً لرؤى فقهية اجتهادية، فإن ذات العمل الذي يقومون به مشروع، ولكنه لا يصح أن يكون طريقا للتغيير الشامل وإقامة الدولة الإسلامية لا شرعاً ولا واقعاً. أما شرعا فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ يشعر بمنع المسلمين من القيام بأعمال مادية في مرحلة الدعوة، ولما هاجروا وأقاموا الدولة في المدينة اكتمل معنى الآية حيث يقول الله سبحانه: ﴿... فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب، قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً ﴾. ولما سأل العباس بن عبادة بن نضلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيعة العقبة الثانية أن يأمرهم فيميلون على أهل منى بأسيافهم ميلة رجل واحد قال: (لم نؤمر بذلك). وأما واقعا فقد تم لهم قتل السادات وهو رأس النظام المصري، ومع ذلك لم يحصل التغيير، فالمسألة ليست تغيير شخص حاكم، بل تغيير نظام حاكم. فالحاكم قد يقتل أو يموت ولكن النظام الحاكم سرعان ما يأتي بمن يخلفه الذي غالباً ما يكون أسوأ من سلفه.

فلم يبق معنا والحالة تلك إلا حزب التحرير الذي قام على الفكرة الإسلامية الواضحة المحددة، وأبصر طريقة عمله، ووضع منهاجه الحركي بناءً على فقهه لسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ودراستها دراسة مستفيضة، وبعد فهمه لواقع المسلمين بشكل دقيق، واعتماده طريقة متميزة في ضم الأعضاء إلى جسمه، وسار في طريق الصراع الفكري والكفاح السياسي، وعمل ولا يزال جاهداً في طلب النصرة من أهل القوة والمنعة من المسلمين، من غير حيود عن الفكرة والطريقة، أو مداهنة أو محاباة لمن بيدهم الأمور، أو مجرد التفكير في مجاملة الكفار والركون إليهم ولو شيئاً قليلاً، متخذاً قول الرسول ﷺ: «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» متخذاً ذلك نبراساً وتشريعاً حتى يأذن الله بالنصر.

أيها الحضور الكرام:

بقيت مسألة متعلقة بدور الحكومات في مواجهة الحركات الإسلامية، تلك الحكومات التي، فوق بطشها وملاحقتها الأمنية للحركات المخلصة الجادة، فإنها قد تبنت حركات أطلقت عليها أسماءً إسلامية، ورعتها رعاية فائقة، وسلطتها على الناس كي ينشغلوا بها وبالعمل معها، لتصرفهم عن العمل الصحيح، واستخدمتها لتشويه صورة العمل الإسلامي الحركي الصحيح، ما أحدث في أوساط المسلمين انقسامات حادة، واختلافات على قضايا هامشية أقل أهمية من قضية العمل للتغيير. وفي الوقت نفسه ضاعفت من حجم الصعوبات التي تواجه الحركة الإسلامية الصحيحة.

خاتمة: وختاماً أقول إن أوراق العمل الإسلامي في جملتها مخلوطة، وضائعة، ومشتتة بين القصور الذاتي عند معظم الحركات، وبين التقصير غير المبرر لدى رجالها المخلصين في البحث الجاد عن الصواب والأصوب. وفي الوقت نفسه لم تسلم حركات التغيير من ضغوط حكومات الكفر القائمة في العالم الإسلامي ومن ورائها دول الكفر والاستكبار العالمي، ولا من الإحباطات المتعمدة التي تتبناها تلك الأجهزة القمعية لإجهاض العمل الصحيح للتغيير. ولا ننسى أن ننبه إلى الدور

المشبوه الذي يلعبه علماء السوء الذين ما برحوا يوظفون طاقاتهم خدمة لحكام باعوا أنفسهم للشيطان، متجاهلين حاجة الأمة الملحة لعلمهم وفقههم ونزاهتهم الغائبة. وكل همهم تطويع النصوص الشرعية، وإخضاع الناس بالإسلام لحكامهم، ومنعهم من منابذتهم وخلعهم بعد كل الكفر البواح الذي نراه، وعندنا فيه من الله برهان. ناهيكم عن تفشي سكرتي الجهل وحب الحياة في أوساط عامة المسلمين وخاصتهم. ولكننا رغم هذا الظلام الدامس نستبشر بقرب الفرج من مفرج الكروب. إقرأوا إن شئتم قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيب ۞﴾ ❑.

نـص الـمـرافـعـة

التي قدمها أحد شباب حزب التحرير للمحكمة في أوزبيكستان

تقوم السلطات في أوزبيكستان بحملة شرسة متواصلة منذ أشهر ضد شباب حزب التحرير ومناصريهم وذويهم، وقدّمت بعضهم إلى المحاكمة، وأحد هؤلاء الشباب شاه عزيز الياسوف ثبّته الله وإخوانه بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وفرَّج الله عنهم أجمعين، وفرَّج الله عن إخواننا المسلمين في أوزبيكستان وفي كل بلاد المسلمين بإقامة دولة الخلافة. ونثبت فيما يلي نص المرافعة التي قدّمها شاه عزيز الياسوف وفيها مواقف عزة وشموخ، وتحد لطواغيت أوزبيكستان وأمثالهم. ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾. صدق الله العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

أرسل الله سيدنا محمداً ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور. فآمنا به وبرسالته التي أتى بها وبذلك أصبحنا مسلمين. فمنذ أن أقام الرسول ﷺ المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة بالطريق الثقافي والسياسي إلى أن هدمت الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤ من قبل الكافر المستعمر، بعد محاولات كثيرة، طبق الإسلام في معترك الحياة، ويشهد التاريخ على مدى النجاح الذي أحرزه الإسلام من خلال تطبيق نظمه. إلا أنه عندما جرى هدم الخلافة، وإقصاء الإسلام عن معترك الحياة، مزقت الدولة الواحدة للأمة الواحدة وأصبحت البلاد الإسلامية فريسة لدول الغرب المستعمرة، فقاموا بإذلال المسلمين وإذلال دينهم وما زالوا كذلك. وبذلك صارت البلاد التي يعيش فيها المسلمون دويلات كرتونية تنفذ خطط الغرب الكافر، وأساليبه الخبيثة، عن علم أو بدون علم.

لأجل إعادة الإسلام، ولأجل إعادة الأمة الإسلامية إلى سابق عزها ووحدتها، ولأجل استئناف الحياة الإسلامية، وإقامة دولة الخلافة الإسلامية، التي تحكم بما أنزل الله، وتحكّم أوامر الله ونواهيه في شؤون الحياة، وتخرج الشعوب جميعاً من تعاسة الكفر وشقاوة الظلم، إلى عدل الإسلام وسعادته، قام حزب التحرير وهو حزب سياسي مبدؤه الإسلام وغايته استئناف الحياة الإسلامية، وحمل الدعوة الإسلامية رسالة إلى العالم، وأخَذ يعمل في البلاد الإسلامية اقتداءً برسول الله ﷺ، وتأسياً بطريقته التي سلكها لإقامة الدولة.

أنا ـ شاه عزيز الياسوف ـ تعرفت على أفكار حزب التحرير وغايته وطريقته، واقتنعت بها اقتناعاً تاماً، ثم دخلت في هذا الحزب بدون أي تردد، لأنه على حق، إذ إنه يقوم بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، اقتداءً بطريقة رسول الله ﷺ فهو في دعوته يقتصر على الفكر فقط.

أما ما تتهمونني به من جرائم، فإن المادة ١٥٩ (المحاولة لقلب النظام الدستوري) فإن هذا لا ينطبق عليَّ. لأن قلب النظام بالقوة وبالانقلاب العسكري من قبل الأحزاب السياسية يمنعه الإسلام، فنحن في دعوتنا هذه نقتصر على الصراع الفكري، والكفاح السياسي (وحتى تعبير الشخص عن رأيه ونظرته ليس مخالفاً للديمقراطية التي تقولون بها).

أما ما وجد عندي من مخدرات، فإن رجال الشرطة وضعوها في جيبي الذي في خلفي عندما اعتقلوني. فإني لا أدخن فضلاً عن استعمال المخدرات لأن استعمالها من الأعمال التي يحرمها الإسلام وكذلك القنبلة التي وجدت في سيارتي فإنهم وضعوها فيها عند تفتيشها.

أما المادة ٢١٦ (الانتماء إلى الجماعات غير الرسمية) فإن هذا التكتل، وإن تناقض مع القوانين، التي شرعها الناس من أنفسهم فإن الله فرض على المسلمين أن يوجدوا جماعات تقوم بالدعوة إلى الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكل مسلم عليه أن يطيع هذا الأمر ولو تناقض مع القوانين التي هي من وضع البشر.

فإني لا أريد أن أعتذر إليكم وأطلب العفو منكم لكوني أمتثل لأمر الله، وأنا أذكركم كمسلمين بأن المحاكمة الحقيقية إنما تكون في يوم لا تنفع فيه توبة ولا ندامة، أي يوم القيامة أمام أحكم الحاكمين.

وفي الختام أقول لكم ما قاله السحرة الذين آمنوا بموسى لفرعون، أظلم الظالمين في الأرض، ﴿فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ قال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ ❑

حلقات في الفكر السياسي (٢)

بعد أن تحدثنا في الحلقة السابقة عن حقيقة الدين وعن الناحية السياسية فيه، سنتحدث في هذه الحلقة ـ إن شاء الله ـ عن المجتمع وعلاقته بالدين. بدايةً نتساءل ما هو المجتمع؟ وهل هو مجرد مجموعة من الأفراد؟ وكيف تتكون المجتمعات؟ وما هي آلية تغيير المجتمعات؟ وهل مجتمعاتنا متماسكة وناهضة أم أنها متميعة منحطة؟ وما أسباب استقرار المجتمعات؟.

المجتمع هو مجموعة من الناس تربطهم علاقات دائمية. فمجموعة الناس بدون علاقات دائمية لا تشكل مجتمعاً ولو كانت آلافاً مؤلفة. أما مجموعة الناس التي تربطهم علاقات دائمية فإنها تشكل مجتمعاً ولو كانت بضع مئات، فالآلاف في سفينة ليست بينهم علاقات لا يشكلون مجتمعاً، والمئات في قرية صغيرة بينهم علاقات يشكلون مجتمعاً.

فالذي يحدد إذن وجود المجتمع هو وجود العلاقات الدائمية، وهذه العلاقات الدائمية توجد بوجود المصالح بين الناس، ذلك أن الطاقة الحيوية الموجودة عند البشر تدفعهم إلى البحث والتنقيب عن وسائل إشباع جوعات هذه الطاقة، فينشأ عن ذلك مصالح تتطلب من الناس قضاءها باعتبار أن الإنسان منفرداً لا يستطيع إشباع كل حاجاته، ولا تقضى هذه المصالح إلا إذا اتفقت أفكار الناس على تلك المصالح، واتفقت معها مشاعر الفرح والحزن والغضب والرضا، فإذا توافقت تلك الأفكار وتلك المشاعر على المصالح، وتوحدت الأنظمة التي تعالجها، وجدت العلاقات الدائمية. ولتوضيح ذلك نضرب المثال التالي: إن الطاقة الحيوية المتعلقة بغريزة النوع تدفع الناس لإنشاء علاقات مثل الزواج والبنوة والأبوة والأخوة. فإذا اتفقت أفكار الناس ومشاعرهم على أن الزواج بحسب الشريعة الإسلامية هو الذي يلبي لهم هذه المصلحة فينشأ عن ذلك علاقات دائمية بهذا النوع من الزواج وترضى عنه مشاعرهم، وتغضب إذا حصل الزواج على خلاف الشريعة؛ وهكذا تنشأ بقية العلاقات الدائمية بين أفراد المجتمع.

فالمجتمع إذن هو العلاقات الدائمية التي تنشأ بين ناسه، وهذه العلاقات الدائمية لا توجد إلا إذا توحدت عليها الأفكار والمشاعر والأنظمة، وبعبارة أخرى فالمجتمع هو مجموع الناس والأفكار والمشاعر والأنظمة، وهو عينه الناس وما يربطهم من علاقات دائمية.

بناءً على ما تقدم لا يمكن القول بأن المجتمع هو مجموعة الأفراد فقط، بل المجتمع هو مجموع الأفراد وما بينهم من علاقات دائمية. ولقد أخطأ الغرب عندما عرف المجتمع بأنه مجموع الأفراد، لأنه لم يرصد أهم ما يربط الأفراد ألا وهو العلاقات الدائمية، ولذلك أخطأ في كيفية تغيير المجتمعات، وكيفية إسعادها وإنهاضها، إذ اعتبر أن إسعاد الأفراد يسعد المجتمع، ولهذا وضع نظام الحريات العامة، فأعطى للفرد حرية التعبير وحرية الاعتقاد وحرية الملك وحرية السلوك. وهكذا كان المبدأ الرأسمالي مبدأ فردياً لأنه يخص الفرد بنظرته. وكان من جراء هذا التعريف الغربي القاصر للمجتمع، ومن جراء التركيز على الناحية الفردية، تحكمت حفنة جشعة نهمة من الأفراد في جمهرة الناس، وترتب على ذلك هيمنة الأفراد وسحق المجموع في المجتمع الواحد، وهيمنة دولة أو دول قليلة على بقية دول العالم، ما أدى إلى الظلم والاستعمار والاستكبار. كل ذلك ما كان ليحدث لولا الخلل الذي بدأ من فهم واقع المجتمع.

وإذا أدركنا تعريف المجتمع وأنه يتكون من أربعة عناصر وهي الناس والأفكار والمشاعر والأنظمة فإننا نستطيع أن نفهم آلية تغيير هذه المجتمعات، فلو كان المجتمع مجموعة أفراد فقط لكان التغيير يقتصر على الأفراد ولا يتعداهم إلى الجماعة والعلاقات، ولكن لما كان المجتمع هو هذه العناصر الأربعة، فإن التغيير ينبغي أن يشتمل عليها جميعها، فالتركيز يجب أن ينصب على الأفكار والمشاعر والأنظمة كما ينصب على الناس سواء بسواء. صحيح أن الأفراد هم الذين يحملون الأفكار والمشاعر وهم الذين ينفذون الأنظمة أو يضعونها، وأن المخاطب هو الإنسان، ولكن باعتباره جزءاً من المجتمع، فحين يتغير الفرد يجب أن تتغير معه علاقاته، وبذلك يكون تغيير الناس بما يحملون، أداة في تغيير العلاقات، وبالتالي تغيير المجتمع. وهذا ما فعله الرسول ﷺ عندما قام بتغيير المجتمع الجاهلي وتحويله إلى مجتمع إسلامي. فقام ببناء الشخصيات بناءً متجانساً على أساس العقيدة الإسلامية، كما فعل في دار الأرقم بن أبي الأرقم، فأوجد كتلة الصحابة الذين كانوا أداة لضرب الأفكار الوثنية الجاهلية وإحلال أفكار التوحيد والأفكار الإسلامية محلها، ولعزل المشاعر الجاهلية واستبدال المشاعر الإسلامية بها، وبذلك تغيرت الأفكار والمشاعر. وأخيراً قام بتحويل الأنظمة الجاهلية إلى أنظمة إسلامية في المدينة المنورة وبذلك تم تغيير الأنظمة. وتوج بذلك تحويل المجتمع من مجتمع جاهلي إلى مجتمع إسلامي. فنشأ على إثر ذلك السلطان الإسلامي، ووجد المجتمع الإسلامي المتميز في دار الإسلام، بعد وجود الدولة الإسلامية، والتي تم التمهيد لإيجادها ثلاثة عشر عاماً من الصراع الفكري الذي استهدف تغيير الناس بتغيير الأفكار والمشاعر والأنظمة.

ولذلك كان أول وأهم ركن في تغيير المجتمع، هو إنشاء كتلة فكرية سياسية، لأن الدولة كيان تنفيذي، تنفذ مجموعة المفاهيم والمقاييس والقناعات التي عند الناس، والمجتمع كيان، بما يسيطر عليه من مجموعة المفاهيم والمقاييس والقناعات، وهو محل التنفيذ، ولا يستطيع تحويل الكيانين إلا كيان آخر مستقل عنهما، تتمثل الصفة الكيانية

فيه في مجموعة المفاهيم والمقاييس والقناعات، التي يحملها ويدعو لها، ويجب أن يستمر كياناً فكرياً واحداً بتوحد الأفكار والمشاعر، وبوحدة القيادة صاحبة الصلاحية، وهذا الكيان هو حزب سياسي فكري، يعمل بالطريق الفكري السياسي لصهر كيان الدولة وكيان المجتمع في كيانه، فتصبح الكيانات الثلاثة كياناً واحداً.

لقد كانت الآلية التي استخدمها رسول الله ﷺ في تغيير المجتمعات آلية فعالة مؤثرة، أحدثت أعظم تحويل طرأ على البشرية في حياتها. فلقد أحال البشرية الغارقة في ظلمات الجهل والظلم والشرك والتخلف إلى بشرية يشع منها النور والهدى لمشارق الأرض ومغاربها. ولقد عبر عن هذه القفزة النوعية في تغيير المجتمع الجاهلي إلى مجتمع إسلامي ربعي بن عامر رضي الله عنه في مجلس رستم حيث قال: «إن الله إبتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها والآخرة».

لذلك كان للمجتمع الإسلامي نكهة خاصة، ونسيج متناسق متكامل مترابط متعاضد ومتعاون، شبهه الرسول الكريم ﷺ بقوله: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»؛ وهكذا تحددت العلاقة بين الجماعة والفرد، فلا إذابة للفرد في المجتمع، ولا إهمال لمصلحة الجماعة، بالتركيز على مصالح الأفراد، وبذلك كان المجتمع الإسلامي متميزاً.

بقيت مسألة وهي: هل مجتمعاتنا اليوم متماسكة وناهضة أم هي متميعة ومنحطة؟ وما هي عوامل استقرار المجتمعات؟.

الحقيقة أن مجتمعاتنا اليوم وبكل أسف هي مجتمعات متميعة ومنحطة ولا وصف مميزاً لها، ذلك أنك ترى فيها مزيجاً من الأفكار وخليطاً من المشاعر، وتنوعاً في الأنظمة، ما يجعلها مجتمعات غير مستقرة ولا ناهضة. فالأفكار في مجتمعاتنا منها الغث ومنها السمين، فترى في المجتمع أفكاراً رأسمالية وأخرى اشتراكية إلى جانب بعض الأفكار الإسلامية. وتجد في المجتمع مشاعر كهنوتية إسلامية، ومشاعر وطنية وقومية وقبلية. وأما الأنظمة التي تنظم علاقات الناس الدائمية فالكثير منها مأخوذ من القوانين الوضعية الأوروبية اللاتينية والجرمانية، والقليل مستمد من الأحكام الشرعية. وهكذا فإن مجتمعاتنا لا وصف لها سوى أنها مجتمعات غير إسلامية.

والسبب الرئيس الذي أوجد هذه الميوعة وذاك التناقض، هو عدم بناء المجتمع على أساس العقيدة التي تعتقدها الأمة، وعدم بروز الأخوة الإسلامية بين أبناء الأمة الواحدة، ولذلك كانت عرضة للاهتزاز والتبديل.

ومبدأ المسلمين الذي هو مصدر إشعاعهم ومقياس رفعتهم وقاعدة ارتقائهم وضمانة حاضرهم ومستقبلهم هو الإسلام باعتباره عقيدة ونظام حياة، حضارة وثقافة، فكراً وطراز معيشة، عبادة ومعاملة وسياسة.

ذاك هو دعامة الاستقرار، وتلكم هي أسس النهضة والتغيير في المجتمعات.

وما لم يجر بناء الأفكار والمشاعر والأنظمة على العقيدة الإسلامية، فلن تستقر مجتمعاتنا، ولن تنهض أمتنا، ولن تتبوأ مركزها الذي ارتضاه الله لها خير أمة أخرجت للناس، تحمل رسالة السماء الخاتمة إلى البشرية كافة، وهذا عمل لا ينهض به إلا كتلة متماسكة قوية، قامت على الفكرة الإسلامية، وتجسدت فيها أفكار الإسلام وأحكامه، وباعت نفسها في سبيل الله لإحقاق الحق، وإزهاق الباطل، وإيجاد هذه الكتلة واجب بموجب القاعدة الشرعية (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) وواجب إيجاد الحياة الإسلامية لا يتأتى إلا بإيجاد هذه الكتلة الموصوفة بقوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ۞﴾ فهي تدعو إلى الخير وهو الإسلام، وطريقها في ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أولى بالحكام من أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وهذا هو الكفاح السياسي، ولذلك كان عمل هذه الكتلة هو الكفاح السياسي، بإبراز عدم إخلاص الحكام لأمتهم وعدم نجاعة حلولهم لمشاكل الناس، وعدم رعايتهم لشؤون الناس الرعاية الصحيحة، التي تفرضها عليهم مسؤوليتهم عن الناس.

ولكي تبقى هذه الكتلة موحّدة، وبخاصة حين تباشر أعمال الكفاح السياسي، حيث تتعرض للملاحقة والتضييق والبطش والتعذيب، وقطع الأرزاق وربما قطع الأعناق، كان لا بد لها من قيادة واحدة، يأتمر الجميع بأمرها، وتكون لها صلاحية إمضاء الأمر، وتقرير الأعمال، وتبنّي الأفكار، ويحمل لها الجميع الثقة التامة، وإلاّ انفرطت الكتلة عند أول صدام جدي مع الفئات الحاكمة. وأصبح التشرذم طابعها، وعدم الانضباط سمتها، وعندها لا تكون قادرة على إحداث التغيير في المجتمع، لأنها أصبحت كيانات غير قادرة على تذويب كيان الدولة وكيان المجتمع في كيانها، وتبقى عندها الحاجة ماسّة إلى إيجاد هذه الكتلة، ولا يكون العمل مع غيرها مبرئاً للذمة، بل يبقى الفرض في أعناق المسلمين جميعاً حتى يوجدوا هذه الكتلة، فمن عمل معها فقد برئ وسقط عنه إثم التقصير، ومن لم يعمل معها بقي تحت الإثم، حتى يتم إيجاد الحياة الإسلامية باستئناف تطبيق أحكام الإسلام عن طريق دولة الخلافة. ولهذا فإننا ندعو جميع الغيارى المخلصين مِن أبناء

أمتنا الإسلامية أن يعملوا مع الكتلة المخلصة الواعية بطريق الكفاح السياسي، من أجل تغيير المجتمعات لتصبح مجتمعاً واحداً إسلامياً يستظل براية القرآن، وتسود فيه قيم الإسلام وأحكام الإسلام، ويحمل رسالة الإسلام إلى العالم، لتصبح طريقة الإسلام في العيش هي السائدة في العالم، ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾، ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

«ألا إن كل ربا موضوع»

قال تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحلّ الله البيع وحرّم الربا﴾ وقال تعالى: ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات﴾ وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ۞ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلِمون ولا تُظلَمون ۞﴾ صدق الله العظيم.

هذه الآيات من سورة البقرة من أواخر ما نزل من القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ وقيل هي آخر ما نزل من آيات الأحكام، وإن آخر ما نزل من الآيات قوله تعالى: ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يُظلمون ۞﴾ وهي بين آيات الربا هذه وآية الدَيْن. وقد حرّم الله تعالى الربا كله بشكل قاطع في قوله تعالى: ﴿وأحلّ الله البيع وحرّم الربا﴾ وبيّنت الآية الثالثة كيفية التخلص من العقود الربوية، بأن لآكل الربا رأس ماله لا زيادة ولا نقصان: ﴿فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون ۞﴾. وفي حجة الوداع أكد رسول الله ﷺ هذا التحريم على ملأٍ من الصحابة والمسلمين حين قال ﷺ: «ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تَظلِمون ولا تُظلَمون.». والربا صنفان: ربا النسيئة، وربا الفضل، وكلاهما حرام. فالعرب في الجاهلية كانت إذا حلّ دَيْنها تقول للغريم: إما أن تقضي، وإما أن تُربي. أي تزيد في الدين لتأخير أجل الاستحقاق، وهذا هو ربا النسيئة. أما ربا الفضل، فقد روى مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «الذهب بالذهب والفضة بالفضة، والبُرّ بالبُرّ، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح مِثلاً بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء» ففي هذه الأصناف الستة يشترط التقابض والتماثل، فإن اختلف الصنفان، فالتقابض فرض، والتماثل ليس فرضاً. وهذا الحكم في هذه الأصناف الستة ليس معللاً، لا بكونها مكيلة أو موزونة، ولا بكونها طعاماً، لأن النص لا يفهم منه العلية، ولهذا لا يقاس عليها.

فحرمة الربا معلومة من الدين بالضرورة، ولا يماري فيها مسلم، ففي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الحلال بَيّن، والحرام بيّن وبينهما أمورٌ مشتبهات ...» الحديث. إلاّ أنه وجد مؤخراً من يفتي للمسلمين أن يقترضوا من البنوك الربوية في دول الغرب الرأسمالية بحجة الضرورة، وبأنهم أقليات، وبالموازنة بين المصالح، وبأن أبا حنيفة أباح الربا في دار الحرب. مع أن هؤلاء يحاولون إنكار تقسيم الدور إلى دار حرب ودار إسلام، بل يذهبون إلى أبعد من هذا فيحاولون إيهام المسلمين أن جميع الكفار ومنهم اليهود والنصارى هم من أمة محمد ﷺ، ويقسمون الأمة إلى نوعين: أمة دعوة وأمة إجابة؛ فكل الناس عندهم من القسم الأول، أما القسم الثاني فمقصور على المسلمين. وفي ذلك تجنٍّ على أبي حنيفة.

فأبو حنيفة ومحمد أباحا أن يأكل المسلم مال الحربي عن طريق ما سمياه «بيع الدرهم بالدرهمين»، أي أن يدفع المسلم درهماً ويأخذ مقابله درهمين من الحربي صرفاً لا أن يدفع المسلم ربا إلى الكفار. وحجتهما في ذلك أن مال الحربي غير معصوم، بل هو مباح، فإذا حازه المسلم دون غدر برضاهم فقد ملكه، وهذا في دار الحرب؛ واحتجا أيضاً بحديث مكحول المرسل: «لا ربا بين المسلم والحربي في دار الحرب»؛ واحتجوا لهما بمخاطرة أبي بكر لقريش في غلبة الروم وبمصارعة الرسول ﷺ لركانة وبربا العباس. وفيما يلي أقوال بعض السادة الأحناف في ذلك:

- **الكمال بن الهمام في شرح فتح القدير على الهداية: [فلو باع مسلم دخل إليهم مستأمناً درهماً بدرهمين حل، وكذا إذا باع منهم ميتة أو خنزيراً أو قامرهم وأخذ المال يحل.] ... ولأبي حنيفة ومحمد ما روي أنه ﷺ قال: «لا ربا بين المسلم والحربي في دار الحرب» وهذا الحديث غريب ... قال الشافعي قال أبو يوسف إنما قال أبو حنيفة هذا لأن بعض المشيخة حدثنا عن مكحول عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا ربا بين أهل الحرب» أظنه قال: «وأهل الإسلام»؛ قال الشافعي: وهذا الحديث ليس بثابت ولا حجة فيه أسنده عنه البيهقي. قال في المبسوط: هذا مرسل ومكحول ثقة، والمرسل من مثله مقبول، ولأن أبا بكر قبل الهجرة حين أنزل الله تعالى: ﴿ألم غلبت الروم﴾ الآية، قالت له قريش: ترون أن الروم تغلب؟. قال: نعم. فقالوا: هل لك أن تخاطرنا؟، فخاطرهم؛ فأخبر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «إذهب إليهم فزد في الخطر»ففعل. وغلبت الروم فارساً فأخذ أبو بكر خطره، فأجازه النبي ﷺ؛ وهو القمار بعينه بين أبي بكر ومشركي مكة، وكانت مكة دار شرك. ولأن مالهم مباح وإطلاق النصوص في مال محظور. وإنما يحرم على المسلم إذا كان بطريق الغدر، فإذا لم يأخذ غدراً فبأي طريق يأخذه حل بعد كونه برضى ... ومال الحربي ليس محظوراً إلا لتوقي الغدر، وهذا التقرير في التحقيق يقتضي أنه لو لم يرد خبر مكحول أجازه النظر المذكور أعني كون ماله مباحاً إلا لعارض لزوم الغدر. إلا أنه لا يخفى أنه إنما يقتضي حل مباشرة العقد إذا كانت الزيادة ينالها المسلم، والربا أعم من ذلك إذ يشمل ما إذا كان الدرهمان من جهة المسلم ومن جهة الكافر وجواب المسألة بالحل عام في الوجهين وكذا القمار قد يفضي إلى أن يكون مال الخطر للكافر بأن يكون الغلب له. فالظاهر أن الإباحة تفيد نيل المسلم الزيادة وقد التزم الأصحاب في الدرس أن مرادهم من حل الربا والقمار ما إذا حصلت الزيادة للمسلم نظراً إلى العلة وإن كان إطلاق الجواب خلافه والله تعالى أعلم بالصواب].**

● السرخسي في المبسوط: [ذكر عن مكحول عن رسول الله ﷺ قال:‹‹«لا ربا بين المسلمين وبين أهل دار الحرب في دار الحرب» وهذا الحديث وإن كان مرسلاً فمكحول فقيه ثقة والمرسل من مثله مقبول، وهو دليل لأبي حنيفة ومحمد رحمهما الله في جواز بيع المسلم الدرهم بالدرهمين من الحربي في دار الحرب ... وحجتنا في ذلك ما روينا وما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنه وغيره أن رسول الله ﷺ قال في خطبته: «كل ربا كان في الجاهلية فهو موضوع وأول رباً يوضع ربا العباس بن عبد المطلب» وهذا لأن العباس رضي الله عنه بعد ما أسلم رجع إلى مكة وكان يربي وكان يخفي فعله عن رسول الله ﷺ فما لم ينهه عنه دل على أن ذلك جائز، وإنما جعل الموضوع من ذلك ما لم يقبض حتى جاء الفتح وبه نقول، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وذروا ما بقي من الربا﴾ ... ولقي رسول الله ﷺ ركانة بأعلى مكة فقال له ركانة: هل لك أن تصارعني على ثلث غنمي؟. فقال صلوات الله عليه نعم، وصارعه فصرعه الحديث، إلى أن أخذ منه جميع غنمه ثم ردها عليه تكرماً، وهذا دليل على جواز مثله في دار الحرب بين المسلم والحربي، وهذا لأن مال الحربي مباح ولكن المسلم بالاستئمان ضمن لهم أن لا يخونهم، وأن لا يأخذ منهم شيئاً إلا بطيبة أنفسهم، فهو يتحرز عن الغدر بهذه الأسباب، ثم يتملك المال عليهم بالأخذ لا بهذه الأسباب، وهذا لأن فعل المسلم يجب حمله على أحسن الوجوه ما أمكن وأحسن الوجوه ما قلنا. والعراقيون يعبرون عن هذا الكلام ويقولون: حلٌ لنا دماؤهم، طِلقٌ لنا أموالهم، فما عدا غدر الأمان يُضرب سبعاً في ثمان].

والذي يبدو لي أن أبا حنيفة ومحمداً إنما أباحا أن يأكل المسلم الربا في دار الحرب لا أن يؤكله، إذ كل الأدلة الواردة في النقول السابقة تؤيد هذا الفهم. والذي نرجحه أن الربا حرام، حتى مع الكفار، وفي دار الحرب. فهو من العقود الباطلة، ولا يحل لمسلم أن يكون طرفاً في عقد باطل، أما عقود الكفار فيما بينهم، وفي دار الحرب فهي معتبرة، وتترتب عليها حقوق والتزامات ❑

أخبار المسلمين في العالم

قالَ اللـه تعالى: ﴿ إنّما المؤمنون إخوَة ﴾ قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وآله وسلم: « المسلمُ أخو المسلِم لا يظلمُهُ ولا يخْذُلُهُ ولا يَحقرُهُ ».

العائدون من ألبانيا

أصدرت المحكمة العسكرية في مصر أحكامها في قضية «العائدون من ألبانيا»، فقضت بإعدام تسعة منهم، بينهم أيمن الظواهري، وشقيقه محمد الظواهري، والتسعة جميعاً حوكموا غيابياً، ولا تُعاد محاكمة من يلقى القبض عليه منهم، ولكن له حق طلب التماس العفو من رئيس الجمهورية، كما قضت بالأشغال الشاقة المؤبدة في حق أحد عشر، والأشغال الشاقة لمدة خمسة عشر عاماً بحق سبعة عشر، والأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات بحق تسعة عشر، والأشغال الشاقة لمدة سبع سنوات بحق اثني عشر، والأشغال الشاقة لمدة خمس سنوات بحق سبعة، والأشغال الشاقة لمدة ثلاث سنوات بحق ثمانية، والأشغال الشاقة لمدة سنة بحق ثلاثة. واعتبر المحامي منتصر الزيات أن الأحكام «لا تساعد على تخفيف أسباب العنف» وأن المفروض أن أقصى ما يمكن أن يطبق على المتهمين هو السجن خمس سنوات بتهمة الانتماء إلى تنظيم أسس على خلاف القانون، وهي المادة نفسها التي حوكم على أساسها عدد من قادة الإخوان المسلمين العام ١٩٩٥ ❑

الجوع في العالم

تقدّر منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (الفاو) أن عدد الذين يتضورون جوعاً في العالم يزيد على ٨٠٠ مليون شخص، وأن العدد سيقفز خلال عقدين من الزمان إلى مليار شخص، وإلى ثلاثة مليارات في منتصف القرن القادم. وتقول صحيفة «لوموند ديبلوماتيك» الفرنسية أنه يموت في كل سنة حوالي ٣٠ مليون شخص من الجوع. وتعتبر الصحيفة أن المشكلة مصطنعة ولتحقيق أهداف سياسية فهي تقول: «إن التوصل إلى إشباع عالمي للحاجات الغذائية والصحية لا يكلف إلا ١٣ مليار دولار، أي ما يساوي تقريباً استهلاك سكان الولايات المتحدة، ودول المجموعة الأوروبية من العطور» ❑

« رسالة الإنسانية » عند الندوي

نشرت مجلة المجتمع في العدد ١٣٣٩ تاريخ ٩٩/٢/٢٣ حواراً مع أبي الحسن الندوي جاء فيه قوله: «إني أفضل المحاولة لوصول الإيمان إلى أصحاب الكراسي على المحاولة لوصول أصحاب الإيمان إلى الكراسي مباشرة ... فبدل الاستيلاء على الحكم يجتهدون في دفع وتأهيل الحكام إلى الانتصار للإسلام وحمايته»، ولدى سؤاله عما يحمله من «رسالة الإنسانية»، وهل بإمكان هذه الرسالة مقاومة العدوان الغاشم على المسلمين في كل مكان، أجاب: «الآن الطريق الوحيد للمسلمين هو أن يقوموا ويملأوا هذا الفراغ ـ فراغ القيادة ـ ويبعثوا في الناس احترام الإنسانية، بصرف النظر عن الديانات، عن المذاهب الكثيرة ...» وعن رأيه في السلام العالمي قال: «السلام العالمي لا ينكره أحد، ولكن الداعين إليه إذا كانوا مخلصين وكانوا محايدين غير منحازين إلى فئة وإلى غاية سياسية، فإنهم يكسبون الثقة والاحترام.» وبم ينصح المسلمين أجاب: «وأنصح المسلمين برسوخ العقيدة الإسلامية، والإخلاص لله تبارك وتعالى، وحب الخير للإنسانية، والغيرة على مستقبل الإنسانية، والغيرة على الشرف الإنساني» ❑

أميركا تعاقب الشركات الروسية

نقلت جريدة القدس الصادرة في ٣ ـ ٤ عن وكالة رويترز للأنباء أن الولايات المتحدة ستفرض عقوبات على ثلاث شركات روسية لتوريدها أسلحة عسكرية (مميتة) إلى سوريا، وقال جيمس روبن المتحدث باسم وزارة الخارجية الأميركية: «إن وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت رغم تيقنها من أن الحكومة الروسية نقلت معدات عسكرية (مميتة) إلا أنها قررت عدم فرض عقوبات أميركية ضد موسكو لتبقي بذلك على المعونة الأميركية لروسيا البالغ حجمها ٩٠ مليون دولار والتي كان من الممكن قطعها في هذه الحالة» ❑

صراع أميركي أوروبي على إفريقيا

نشرت صحيفة الشعب المقدسية الأسبوعية الصادرة في ١ـ٢ ـ ٩٩ مقالاً بعنوان «حرب استراتيجية أميركية ـ أوروبية مسرحها إفريقيا والمغرب العربي» جاء فيه: إن جيمس وود أحد كبار المسؤولين السابقين في وزارة الدفاع الأميركية قال: إن المبادرات الهادفة لاحتواء الأزمات الإفريقية مسألة يجب أن تحسم وللمرة الأخيرة من قبل الأفارقة أنفسهم من دون الرجوع لأي كان، ورد شيراك: بأن الولايات المتحدة تطرح فكرة الأمن الإفريقي بيد إفريقية لأنها لا تريد أن تخسر فرداً من جنودها في إفريقيا ❑

عدوى منع الحجاب تصل لبنان

نشرت جريدة السفير اللبنانية بتاريخ ٩٩/٥/١٧ أنها تلقت بياناً من المحامية مي الخنساء جاء فيه: أنها فوجئت يوم الجمعة الماضي، وبعد خروجها من قاعة المحكمة العسكرية حيث كانت تقوم بواجبها، بطلب أحد العسكريين منها العودة إلى قاعة المحكمة لأن رئيس المحكمة يريد التحدث إليها، ولما عادت توجه إليها رئيس المحكمة بقوله: لا أريد ما يدل على الشعائر الدينية في هذه المحكمة. وقالت: إنه قصد طبعاً الحجاب الذي ترتديه. وكان ردّها: لست مروة قاوقجي، ولن أسمح لأحد المس بحجابي، والحرية الشخصية التي أتمتع بها لا تمنعني من ارتداء الحجاب الذي أراه مناسباً ... فقال لها ـ حسب بيانها ـ : «لا أريد أي مظاهر تدل على انتماء ديني حتى لو كان ذلك سلسلة معلق بها صليب أو ما شاء الله ...».

الوعي: هل هذه عملية جس نبض، حتى إذا مرت بهدوء ودون ضجيج ـ جرى تعميمها، حتى تعم جميع المؤسسات الرسمية، كما هو الحال في تركيا العلمانية. ﴿أتواصَوْا به بل هم قوم طاغون﴾ ❑

أربكان والعلاقات مع إسرائيل

نشرت صحيفة (الوطن) الكويتية مقابلة مع رئيس وزراء تركيا الأسبق نجم الدين أربكان، أجراها مكتب (الوطن) في الرياض، وذلك في عددها الصادر في ٩٩/٤/١٦. وفي جواب عن السؤال الآتي: شهدت فترة ترؤسكم للحكومة التركية نمواً غير طبيعي للعلاقات مع إسرائيل، هل تعتقدون أنكم استخدمتم كغطاء عقائدي لعلاقات ضد العقيدة؟ قال أربكان: «نحن نرفض أن نستخدم كغطاء ضد العقيدة الإسلامية الصافية النقية، هذا الدين الذي ارتضاه الله لعبده وقال:﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾وحقيقة الأمر أن العلاقات التي تمت بين تركيا وإسرائيل هي عبارة عن اتفاقيات لإصلاح طائرات أميركية الصنع اعتذرت أميركا عن عدم إصلاحها، وقالت يمكن إصلاحها في إسرائيل، فهي عملية بيع وشراء فقط، ولم تكن لأهداف أخرى كما يتصورها البعض وروَّج لها.».

الوعي: هل المناورات التركية ـ الإسرائيلية المشتركة وهل فتح الأجواء التركية والمطارات التركية لطائرات العدو الإسرائيلي جزء من صفقة بيع وشراء؟! ❑

مسؤولية النظام الجزائري عن المجازر

في رسالة وجهها مجموعة من الاشتراكيين إلى إحدى الصحف الإلكترونية الإسبانية (هسبانيداد) بتاريخ ٩٩/٣/١٩، انتقدت سكوت الحكومة الإسبانية عن الجرائم التي يرتكبها النظام الجزائري ضد شعبه، وقد جاء في الرسالة: «هل ينتمي العرب إلى عرق لا تشمله حقوق الإنسان؟ أم إن المصالح الإسبانية مثل البترول والغاز الطبيعي هي فوق حقوق الشعب الجزائري المقموع بشكل مرعب ومستمر على يد حفنة من جنرالات الجيش الذين ألغوا الانتخابات عام ١٩٩٢ واستبدلوها بنظام دكتاتوري بالتعاون المباشر أحياناً وغض الطرف أحياناً أخرى من أنظمة غربية تتباهى بالديموقراطية ؟».

الجدير بالذكر أن هذه الرسالة نشرت بعد أن أعلنت إحدى منظمات حقوق الإنسان ـ وهي منظمة العفو الدولية ـ تقريراً حول الإرهاب الذي يمارسه النظام الجزائري ضد الشعب، وجاء في التقرير أن هناك أدلة تثبت ضلوع النظام في اختطاف (٣٥٠٠) مواطن جزائري لا يعرف مصيرهم حتى الآن. في حين تؤكد جمعية يديرها بعض الجزائريين في الخارج وترعى شؤون المفقودين أن الرقم قد يصل إلى (١٨٠٠٠) شخص اختفت آثارهم على أيدي النظام الجزائري ❑

الديون على نيجيريا

تنوي الحكومة البريطانية إلغاء بعض الديون الخارجية على نيجيريا، والتي تبلغ (٢٩) مليار دولار، إذا استمرت الحكومة النيجيرية في الإصلاحات التي اقترحها صندوق النقد الدولي. أوردت ذلك وكالة رويترز نقلاً عن صحيفة (الفاينانشال تايمز) في عددها الصادر في ٩٩/٥/٤. جاء ذلك في رسالة بعث بها وزير المالية البريطاني، جوردون براون، إلى نظيره النيجيري، إسماعيل عثمان. وطلبت الرسالة من الحكومة النيجيرية المدنية القادمة أن تقبل وجود مراقبين دائمين من صندوق النقد الدولي في وزارة المالية، والبنك المركزي النيجيري، وأن تسمح بمراقبي حسابات مستقلين في البنك المركزي، وشركة النفط التي تملكها الدولة، وبذلك تضمن دعم بريطانيا لتخفيف الديون ولمزيد من الديون من صندوق النقد الدولي.

الوعي: يذكّرنا ذلك بما كان يحصل في القرن الفائت، حين كانت الدول الدائنة تضع مراقبين لها في وزارات مالية الدول المدينة، من أجل الإشراف على الميزانيات من حيث الإنفاق، كي تتمكن من استيفاء ديونها، ثم تلت ذلك الاحتلالات العسكرية ﴿فهل من مدكر﴾ ❑

مسلسل الافتراء على حزب التحرير

نشرت صحيفة (البلاد) الأردنية بتاريخ ٩٩/٤/٢٨ تحت عنوان وفد من حزب التحرير يجتمع مع ابن لادن: «علمت (البلاد) أن وفداً من حزب التحرير المحظور (كذا) في الأردن غادر عمان قبل حوالي الشهرين للالتقاء مع المعارض السعودي المعروف أسامة بن لادن في أفغانستان. معلومات (البلاد) تؤكد أن حزب التحرير سبق أن أوفد أعضاء

آخرين لزيارة ابن لادن في أفغانستان قبل حوالي السنتين، ومكثوا في ضيافتهم هناك أكثر من أسبوعين». ولأن الخبر عار عن الصحة جملة وتفصيلاً، فقد اضطرت الصحيفة إلى تكذيب الخبر الذي سبق ونشرته:

«ورد لـ (البلاد) في اتصال هاتفي أن حزب التحرير لم يوفد أياً من أعضائه إلى أفغانستان، كما ورد في العدد (٣٠٠) من صحيفة (البلاد)، وأضاف المتكلم أنه لا توجد أية اتصالات من أي نوع مع ابن لادن، ونفى أن تكون هناك نوايا لتشكيل وفد لزيارة أفغانستان لهذه الغاية» البلاد ٩٩/٥/١٦.

ألم يكن أكرم لصحيفة (البلاد) أن تتحرى عن الخبر قبل نشره، حتى لا تضطر إلى تكذيب ما سبق أن نشرته؟!

❑

باجمال يسوّق الوجود الأميركي

أثناء وجوده في الكويت، لإعادة افتتاح السفارة اليمنية، أشار وزير الخارجية باجمال إلى استعداد صنعاء لمزيد من التعاون مع الولايات المتحدة في المجال العسكري، وقال: «الأميركيون موجودون في المنطقة، وليس مستغرباً أن يكون لهم وجود في اليمن، ولكنه في نهاية المطاف ليس وجوداً عسكرياً ثابتاً ... الأساطيل الأميركية تمر بالمنطقة وتقف في كل موانئ اليمن للتزود بالوقود والمياه، ومن الطبيعي، أن يقدم اليمن هذه التسهيلات ضمن عقود تجارية، ونحن نرحب بزيارة الأميركيين لليمن»، ولم يستبعد باجمال فكرة القواعد الثابتة وقال: «ولا مندوحة إذا صار، في يوم من الأيام، في مصلحة اليمن، أن يكون عندها شيء فهذا شيء آخر، لكن الآن نحن لا نخفي شيئاً موجوداً على الأرض» وجدير بالذكر أن اليمن تتعرض لضغوط من الجيران، من مثل التفجيرات، والاغتيالات، والخطف ما أدى إلى عدم استقرار الأمن في هذا البلد الذي لم يعد سعيداً؛ كما أن الدولة ترد على هذه الضغوط بإشغال القبائل ببعضها حتى لا يمكن استخدامها ضد الحكومة القائمة ❑

تناغم إيراني ـ أميركي تجاه أفغانستان

التحرك الذي تقوده أميركا من أجل أن يكون لملك أفغانستان السابق دور في إنهاء الأزمة الأفغانية، والذي تمثل في لقاء مساعد وزيرة الخارجية الأميركية كارل أندرفورث مع أنصار الملك السابق، ثم توجهه إلى روما للقاء الملك، وتحرك نائب وزير الخارجية الإيطالي باتجاه باكستان من أجل إذابة الجليد بينهما وبين الملك السابق، يقابله تحرك باكستاني لدعم طالبان، فقد زار قائد الجيش الباكستاني بكين من أجل إيجاد تفاهم بين الطالبان وحكومة بكين تمهيداً لاعتراف الصين بحركة طالبان. ويبدو أن الصين تصرّ على أن تتسلم من طالبان مجموعة من المسلمين الصينيين الذين شاركوا في حرب الأفغان، وقد توقع رئيس الاستخبارات العسكرية الباكستانية السابق الجنرال حميد جول أن تعترف الصين قريباً بحكومة طالبان.ورأى أن هناك تناغماً وتوافقاً تاماً وتطابقاً في وجهات النظر بين السياسة الإيرانية والأميركية في أفغانستان، ولم يستبعد أن تلعب طهران دور الشرطي من جديد في المنطقة كما كان الحال أيام الشاه المقبور، (ولكن طبعاً بمظلة أميركية هذه المرة.) ❑

اتصالات سرية سورية ـ إسرائيلية

نشرت صحيفة (هآرتس) الإسرائيلية في عددها الصادر في ٩٩/٥/٢٨ أن اتصالات سرية جرت بين سوريا وإسرائيل خارج منطقة الشرق الأوسط اعتباراً من منتصف عام ١٩٩٧، وشارك فيها وزير الدولة العماني بن علوي، والموفد الأوروبي موراتينوس، ورجل الأعمال الأميركي اليهودي رون لاودر الذي ذكرت الصحيفة أنه زار دمشق سبع مرات على الأقل، وحصل على موافقة دمشق على انتشار مراقبين أميركيين أو فرنسيين يشرفون على محطة إنذار مبكر في جبل الشيخ بعد انسحاب إسرائيلي. وقد وافق رئيس وزراء العدو اليهودي نتنياهو على انسحاب كبير من الجولان في مقابل السلام، ولكنه رفض أن يلتزم ذلك خطياً. وقد أكد الناطق باسم نتنياهو، ديفيد بار إيلان، حصول هذه المفاوضات لكنه لم يوضح مضمونها أو طريقة إجرائها. وكان وزير دفاع العدو السابق موردخاي أكد أثناء الحملة الانتخابية أن نتنياهو وافق على الانسحاب من الجولان. وقد نفى الوزير العماني هذه الأنباء، بينما لم ينف موراتينوس الأنباء ولم يؤكدها، وقد اعترف نتنياهو نفسه بهذه الاتصالات ❑

سريـة بئـر مـعونـة

بعد ما أصاب المسلمين في أحد ويوم الرجيع، طمع المشركون في استئصال الإسلام بقتل رسول السلام عليه الصلاة والسلام، فقال أبو سفيان لنفر من قريش: ما أحد يغتال محمداً، فإنه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا. فأتاه رجل من الأعراب وقال له أنا صاحبه، إن وقيتني خرجت إليه حتى أغتاله، فأعطاه أبو سفيان بعيراً وناقة، وأوصاه أن يطوي أمره، حتى لا يصل الخبر إلى محمد. فلما التقى رسول الله ﷺ، أحنى عليه كأنه يُسارّه، فجبذه أسيد بن حضير رضي الله عنه، فإذا بخنجر داخل إزاره، فصدق رسولَ الله فيما جاء به، وآمَنه رسول الله ﷺ، وعرض عليه الإسلام، فدخل في دين الله. ومعاملة بالمثل أرسل رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم (وقيل جبار بن صخر) إلى أبي سفيان ليقتلاه، ولكن الله لم يكتب لهما شرف قتل أبي سفيان، وأكرم الله أبا سفيان فيما بعد فدخل في دين الله.

ثم كانت سرية بئر معونة في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة، روى البخاري عن أنس بن مالك قال بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلًالحاجة يقال لهم القُرّاء، فعرض لهم حيّان من بني سُلَيم رِعْل وذكوان، عند بئر معونة، فقال القوم: والله ما إياكم أردنا، وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبي ﷺ، فقتلوهم، فدعا عليهم النبي ﷺ شهراً في صلاة الغداة، وذاك بدء القنوت وما كنا نقنت.

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله ﷺ أصحاب بئر معونة على رأس أربعة أشهر من أحد. وذلك أن أبا براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة، قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فعرض عليه رسول الله الإسلام، ودعاه إليه، فلم يُسلم ولم يبعد من الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، فدعَوْهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: إني أخشى عليهم أهل نجد، قال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك، فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو في أربعين رجلاً من أصحابه (والصحيح أنهم كانوا سبعين رجلاً كما روى البخاري ومسلم)، منهم الحارث بن الصمّة، وحرام بن ملحان، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، وهي بين أرض بني عامر، وحرّة بني سليم، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب. فلما نزلوها، بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل، فلما أتاه عدا على حرام فقتله، واستصرخ عليهم بني عامر، فأبوا أن يخفروا أبا براء، وأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، فاستصرخ عليهم قبائل من بني سُلَيم من عُصيّة ورِعْل وذكوان، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم،فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، وقاتلوهم حتى قُتلوا من عند آخرهم، رحمهم الله جميعاً، إلاّ كعب بن زيد، فإنه أصيب، ورفع من بين القتلى وبه جراح، فعاش حتى استشهد يوم الخندق.

وروى البخاري أن عامر بن الطفيل سأل عمرو بن أمية الضمري، وكان في سرح المسلمين، فأسره المشركون، سأله عن أحد القتلى من يكون؟ فقال عمرو: أنه عامر بن فهيرة، قال ابن الطفيل:لقد رأيته بعدما قُتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وُضع، وروى يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك، وقال للنبي ﷺ: من رجل يا محمد لما طعنته رفع إلى السماء؟ فقال ﷺ: هو عامر بن فهيرة.

وروى الواقدي أن الذي قتل عامر بن فهيرة جَبّار بن سَلمى الكلابي، وأنه لما طعنه بالرمح قال: فزت ورب الكعبة. ثم تساءل جبّار بعد ذلك: ما فاز، الستُ قد قتلت الرجل، فسأل عن مقالته فقالوا: الشهادة، فكان ذلك مما دعاه إلى الإسلام فأسلم. وفي مغازي موسى بن عقبة عن عروة أنه قال لم يوجد جسد عامر بن فهيرة يرون أن الملائكة وارته.

وأتى النبيَّ ﷺ خبرهم، فنعاهم فقال: إن أصحابكم قد أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا ربَّنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيت عنا.

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري، ورجل من الأنصار، فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر فقالا: والله إن لهذه الطير لشأناً، فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة، فقال الأنصاري لعمرو: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فقال الأنصاري: لكني ما كنت لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، وما كنت لتخبرني عنه الرجال، ثم قاتل القوم حتى قُتل، وأسروا عمرو بن أمية، فلما أخبرهم أنه من مضر، أطلقه عامر بن الطفيل، وجزّ ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه. فخرج عمرو بن أمية، حتى إذا كان بموضع يقال له قرقرة الكدر، بينه وبين المدينة ثمانية برد، أقبل رجلان من بني عامر، حتى نزلا معه في ظلٍ هو فيه، وكان بين بني عامر ورسول الله ﷺ عقد جوار، لم يكن يعلم به عمرو بن أمية، فحين عرف أنهما من بني عامر قرّر أن يقتلهما، فأمهلهما حتى إذا ناما، عدا عليهما فقتلهما، ظاناً أنه أخذ ثاراً من بني عامر، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ فلما قدم المدينة على رسول الله ﷺ، وأخبره الخبر، قال رسول الله ﷺ: لقد قتلت قتيلين، لأدينّهما. ثم قال رسول الله ﷺ: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً. فبلغ ذلك أبا براء، فشق عليه إخفار عامر بن الطفيل إياه، وما أصاب أصحاب رسول الله ﷺ بسببه وجواره. وقد أنشد حسان بن ثابت، شاعر الرسول، يحرِّض بني أبي براء على عامر بن الطفيل، فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل، فطعنه بالرمح، فوقع في فخذه، ولم يصب منه

مقتلاً، ووقع عن فرسه، فقال: هذا عمل أبي براء، إن أمت فدمي لعمّي، فلا يُتْبَعَنَّ به، وإن أعش فسأرى رأيي فيما أتي إليّ.

وكان من تداعيات مقتل الرجلين من بني عامر على يد عمرو بن أمية الضمري، أن رسول الله خرج إلى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين، فتآمروا عليه لقتله، ذلك أنهم ظنوا أن الرسول ﷺ في أضعف حالاته، إذ جاء يستعينهم في دية قتيلي بني عامر، فهمَّ أحدهم أن يلقي على رسول الله ﷺ صخرة، وهو قاعد إلى جنب جدار من بيوتهم، فأتاه الخبر من السماء، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، وأمر ﷺ المسلمين بالتهيؤ لحربهم، والسير إليهم، واستعمل على المدينة ابن أمِّ مكتوم، وحاصرهم ستة أيام، وهم ممتنعون في حصونهم، فأمر ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها، وأرسل إليهم المنافقون يثبّتونهم، ولكن الله قذف في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله ﷺ أن يُجليهم ويكف عن دمائهم، على أنّ لهم ما حملت الإبل من الأموال إلا السلاح. وفي إجلاء بني النضير نزلت سورة الحشر، وفيها نزل حكم الفيء❑

كيفية تحويل العملات المحلية

إلى عملات ذهبية وفضية

إن إقامة الدولة الإسلامية يستدعي تحويل العملات المحلية الإلزامية إلى عملات ذهبية وفضية أو أوراق نائبة عنها، ولا يتصور أن يتم تحويل العملات الإلزامية إلى عملات تستند إلى قاعدة الذهب والفضة قبل قيام الدولة الإسلامية، واستقرارها، وإلى أن يتم ذلك لا بد من التعامل بالعملات القائمة، فلا بد من وضع قاعدة للتعامل بين العملات المختلفة في الدولة التي تضم عدة أقطار لكل عملته، ولا بد من أساس لتحويل العملات القائمة إلى قاعدة المعدنين.

والدولة الإسلامية تحكم رعاياها بكل ما أنزل الله سبحانه، فتصرف جميع شؤونهم، وتدير كل مصالحهم بالأحكام الشرعية المستنبطة من الأدلة الشرعية التي دلّ الدليل القطعي على أنها أدلة الأحكام وهي الكتاب والسنة وما أرشدا إليه.

وتقوم الدولةبتطبيق الإسلام على الرعية تطبيقاً انقلابياً شاملاً، لأنه لا يجوز لها التدرج في التطبيق، بل يجب أن يكون دفعة واحدة، يشمل كل الأحكام وكل المسائل، ويجب أن تتلبس الدولة بتطبيق كل الإسلام من أول يوم يبايع فيه الخليفة، ولذلك كان على القائمين على تنفيذ الأحكام في الدولة وعلى رأسهم الخليفة أن يبادروا حال تسلمهم الحكم إلى التطبيق الفوري الدقيق والواعي لجميع الأحكام الشرعية، فيعالجوا المشاكل الناشئة والحوادث الجارية بأفكار وأحكام الإسلام بلا تريث أو انتظار، لأن عدم تطبيق الإسلام في مسألة من المسائل، أو في واقعة من الوقائع، أو في حادثة من الحوادث، يعني أن الذي طُبّق هو غير الإسلام، وغير الإسلام هو الكفر، ولا يصح أن يحصل ذلك في ظل الدولة الإسلامية.

وللحيلولة دون سقوط الدولة الإسلامية ـ حال قيامها ـ في براثن الكفار، أو في شرك الحكم بغير ما أنزل الله، فإنه يتوجب على العاملين لإقامتها الإعداد المكثف والمسبق للأساليب والكيفيات التي تكفل ضمان تطبيق دستورها المستنبط من الكتاب والسنة وما أرشدا إليه من قياس وإجماع،من دون عوائق أو عثرات.

ومن أصعب ما يواجه الدولة عند إقامتها بل من أخطر ما يعترضها من مشكلات حال قيامها مشكلة تحويل العملات المحلية إلى عملات شرعية تستند إلى قاعدة الذهب والفضة، لأن هذه المشكلة تتعلق بالمال، أي تتعلق بعصب الحياة لذلك كان لا بد من الإسراع في حلها حلاً عملياً يمنع وقوع أية أزمات مالية قد تؤدي إلى زعزعة الأمن في الدولة، وقد توقعها في مزالق خطرة في بداية نشوئها قد تؤدي إلى سقوطها ـ لا سمح الله ـ قبل أن تقف على قدميها، أو يشتد عودها.

معلوم أن الأوراق النقدية التي بين أيدي الناس اليوم كلها إلزامية وهي ثلاثة أنواع: العملات الأجنبية الصعبة، والعملات الأجنبية غير الصعبة، والعملات المحلية.

أما العملات الصعبة كالدولار الأمريكي والين الياباني والمارك الألماني والجنيه الإسترليني والفرنك السويسري والفرنك الفرنسي، فلا داعي لتحويلها إلى عملات ذهبية وفضية ونائبة، لأنه يجوز أن تبقى بين أيدي الناس، ويجوز شرعاً التعامل بها داخل الدولة بيعاً وشراءً وصرفاً طالما لم تتوفر العملة الإسلامية الذهبية والفضية والنائبة، ثم إن الدولة الإسلامية ليست مسؤولة عن إصدارها ويجوز لها التعامل بها من باب جواز التعامل مع دول الكفر، كما كانت تتعامل الدولة الإسلامية مع عملات الدولتين الرومانية والفارسية. وأما بعد توافر العملة الذهبية والفضية والنائبة فيوقف التعامل بالعملات الصعبة داخل الدولة الإسلامية ويسمح التعامل بها فقط في التجارة الخارجية مع الدول الأخرى.

على أن وجود العملات الصعبة داخل الدولة الإسلامية أمر إيجابي، وهدف يسعى لتحقيقه، لما فيه من فوائد اقتصادية عظيمة ناتجة عن المبادلات التجارية مع الدول الأجنبية. لذلك يبقى التعامل الصرفي قائماً في داخل الدولة الإسلامية بين العملة الإسلامية وبين العملات الصعبة، وتتحدد قيمة العملات الصعبة الصرفية بناءً على قوة دولها الاقتصادية وقدرتها التنافسية، ويلحق بالعملات الصعبة العملات غير الصعبة للدول الأجنبية كالتي ترتبط الدولة الإسلامية معها بمعاهدات اقتصادية جائزة أو كالتي تكون مجاورة للدولة الإسلامية.

وأما العملات المحلية كالدينار الأردني والجنيه المصري والليرة السورية وغيرها فإنها بعد قيام الدولة الإسلامية يحرص على التعجيل بوقف التداول بها بأسرع وقت، لأنها تكون إذ ذاك بمثابة الفلوس الكاسدة التي لا قيمة لها، وقيام الدولة هو السبب في إلغاء التعامل بها ومسحها من الوجود.

ولما كانت الدولة الإسلامية سبباً في إبطال مفعولها وإلغاء قيمتها، فإن عليها تعويض مالكي هذه العملات المحلية وإزالة الضرر الذي سيلحق بهم نتيجة ذلك، وبما أن الدولة الإسلامية عند قيامها لا تملك عملة شرعيةً ـ فليس عندها دنانير ذهبية ولا دراهم فضية ولا أوراق نائبة ـ وقد تمضي مدة طويلة من الزمن قبل أن تتمكن من توفير النقود الذهبية والفضية والأوراق النائبة، لذلك فإن عليها خلال هذه لمدة أن تقدم للناس بديلاً مالياً يمكنهم التعامل به، وأن يكون لديها ما تنفقه لكي تسير الحياة اليومية الاقتصادية سيراً طبيعياً بلا تخبط أو فوضى، وكيلا يفقد المواطنون ثقتهم بالدولة الوليدة.

إذاً لا بد من أسلوب تلجأ إليه الدولة لطمأنة الناس على مقتنياتهم وسائر معاملاتهم، ولغلق الباب أمام قوى الكفر والهدم والتخريب. ولا بد أن يكون هذا الأسلوب فورياً ـ بقدر المستطاع ـ تستطيع به الدولة أن تفي بجميع التزاماتها المالية، وأن تزرع الثقة بها بين جماهير الأمة، لكي لا يداخل الناس شعور بالارتياب في قدرات دولتهم الفتية، ولكي تحول دون نشر الفوضى والارتباك في صفوف الرعية.

والأسلوب المقترح لمعالجة ذلك هو أن تصدر الدولة ومنذ أيامها الأولى صكاكاً بقيم العملات المراد سحبها من لناس لكي يتم التداول بها بدلاً من العملات المحلية المسحوبة، وأن تعلن الدولة على الملأ بأنها تقر للناس بأنها ستصرف لهم نقداً إسلامياً بقيمة نقودهم المسحوبة بمجرد توفر العملة الإسلامية الذهبية والفضية والنائبة، وتحتسب قيمة نقودهم المسحوبة كما كانت عليه في اليوم السابق لقيام الدولة.

وهذه الصكاك أو الكتب أو القطوط هي عبارة عن شيكات آجلة تصدرها الدولة أو سندات دين على الدولة، فواقعها أنها ذمة حاضرة يجوز صرفها كالعين الحاضرة ويطلق عليها في كتب الفقه لفظ القطوط وهي جمع القط بمعنى القطع، والقطع هي قطعة من القرطاس أو قطعة من الرزق كما ذكر الزمخشري في كتابه «الفائق في معنى القطوط».

وبهذه الكيفية يمكن للدولة أن تسحب العملات المحلية من أيدي الناس بدون إيقاع أي ظلم يلحق بهم، وبدون الوقوع في أية مطبات اقتصادية أو مزالق مالية. كما أن الدولة بفضل هذا الأسلوب تتمكن من التقاط أنفاسها وتأخذ فرصة كافية ريثما يتوفر لها الغطاء اللازم من الذهب والفضة، فتصدر نقداً ذهبياً وفضياً أو تصدر أوراقاً نائبةً بغطاء ذهبي أو فضي مضمون، وهذه الأوراق النائبة تعتبر من أفضل أنواع النقد في عصرنا الحاضر من الناحية العملية، لأنها لا تتأثر بنقصان الوزن من كثرة الاستعمال، كما وتقل فيها إمكانية التزييف والستوقة، وتستعمل الأوراق النائبة إلى جانب القطع الذهبية والفضية، بحيث يمكن استبدال القطع بالأوراق في أي وقت لمن يشاء.

والدليل على استعمال الصكاك أو القطوط ما رواه البخاري أن النبي ﷺ جاءه وفد هوازن مسلمين فقام في الناس وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: «أما بعد فإن إخوانكم جاءونا تائبين وإني رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ومن أحب أن يكون على حظه نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا، فقال الناس طيبنا لك». وروى أحمد أن النبي ﷺ قال: «يا أيها الناس ردوا عليهم نساءهم وأبناءهم، فمن تمسك بشيء من الفيء فله علينا ستة فرائض من أول شيء يفيئه الله علينا». وفي رواية عمرو بن شعيب «من تمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول فيء نصيبه».

ثم إن هذه الصكاك أو القطوط هي أوراق دين، وينطبق عليها أحكام الدين، والرسول ﷺ كان يستدين من الناس بوصفه رئيساً للدولة، وكان بلال بن رباح رضي الله عنه هو المكلف من قبل النبي ﷺ بالاستدانة للإنفاق على مصالح المسلمين.

فهذه الصكاك إذن تكون صالحة للتداول بيعاً وشراءً، ذكر ابن أبي شيبة في مصنفه تحت عنوان «في بيع صكاك الرزق» أن عمر وزيد بن ثابت كانا لا يريان بأساً بشرى الرزق إذا أخرجت القطوط ويقولان لا تبعه حتى تقبضه. وقال أبو ثور: لا يجوز بيع العطاء ولا الزيادة فيه، وذلك أن العطاء ليس بعين قائمة ولا ملك لرجل ولا صفة من الصفات فيكون مضموناً في ذمة البائع، وإن كان ذلك أرزاقاً قد خرجت وصك بها فلا بأس ببيعها، وقال أبو حنيفة وأصحابه مثل ذلك.

وينبغي الإسراع في تطبيق هذا الأسلوب وتحديد مدة زمنية قصيرة لسحب العملات المحلية من الناس وإتلافها وإصدار القطوط لمنع احتمال تهريب العملة من خارج الدولة إلى داخلها، لذلك فإن على أجهزة الأمن في الدولة أن تشدد على مراقبة الحدود لمنع التهريب. وتستعين الدولة بإداريين وفنيين ذوي كفاءة عالية ومهارة فائقة لإنجاز هذه العملية، ويشرف عليهم مسؤولو الدولة من الأمناء الأقوياء.

وفي الوقت الذي تجمع فيه الدولة العملات المحلية وتعتبرها ديناً عليها تلتزم الوفاء به وتصدر بقيمتها قطوطاً أو صكاكاً قابلة للتداول والصرف فإنها تعمل على توفير الغطاء اللازم من الذهب والفضة وقد يفيدها استعمال الأساليب التالية لتحقيق ذلك:-

١ـ إقامة مصانع لاستخراج وضرب الذهب والفضة تحت إشراف ورقابة الدولة.

٢ـ إنشاء مصرف مركزي تكون مهمته الأساسية حفظ الغطاء الذهبي والفضي للأوراق النائبة، وضبط عمليات الصرف بين ذلك الغطاء وتلك الأوراق.

٣ـ الطلب من المسلمين أن يبيعوا الدولة فائض ما عندهم من ذهب وفضة، والطلب من المسلمين أن يتبرعوا بعين الذهب والفضة ـ وهذا أسلوب استعمله الرسول ﷺ.

٤ ـ استيراد السلع التي تحتاجها الدولة من الخارج إما بالمقايضة بسلع من إنتاجها وإما بالشراء بما يتوفر لديها من عملات صعبة وأجنبية.

٥ ـ تشجيع دول العالم على استعمال الذهب والفضة كنقد وليس كسلع.

٦ـ أخذ المكوس والعشور من الكفار عند مرورهم ومرور تجارتهم عبر مياهنا وأجوائنا وأراضينا بالذهب والفضة إن أمكن.

٧ ـ جعل أثمان صادراتنا إلى الدول الأخرى بالذهب والفضة إن أمكن.

٨ ـ المحافظة على كميات من العملات الصعبة في حوزة الدولة لاستعمالها كرديف للذهب والفضة.

٩ـ عدم وضع القيود على إدخال وإخراج الذهب لأن الأساس الذهبي للعملة يفترض حرية تداول الذهب استيراداً وتصديراً، الأمر الذي يوجد الاستقرار النقدي والمالي والاقتصادي.

وإذا أضفنا إلى هذه الأساليب النظرة الإسلامية الاقتصادية فيما يتعلق بالاكتفاء الذاتي بالسياسة التجارية وفي جعل الأجور مقدرة بمنافع الجهود لا بأثمان السلع المنتجة ولا بمستوى المعيشة، وإذا اعتبرنا أن السندات والأسهم ليست أموالاً مملوكةً للأفراد، وإذا قللنا من اعتماد الدولة على التصدير في إنتاج ثروتها وجعل إنتاج الثروة يأتي داخلياً دون حاجة إلى سلع مستوردة أو مستخدمين أجانب، نعود فنقول إذا حققنا هذه النظرة بالإضافة إلى ما اقترحنا من أساليب فإننا نستطيع أن نوفر الغطاء اللازم من الذهب والفضة في زمن قياسي.

هذه هي طريقة تحويل العملات المحلية إلى عملة الدولة الذهبية والفضية والنائبة، وهي طريقة عملية مستندة إلى الأدلة الشرعية تنتظر قيام دولة الخلافة الإسلامية ـ بإذن الله ـ التي ستضعها موضع التطبيق، ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ ❑

دردشات سياسية

أولاً: توسيع حلف الناتو وتحجيم روسيا

بعد مفاوضات وتحضيرات استغرقت عدة سنوات، وبعد أخذٍ ورد بين حلف الناتو وأمريكا من جهة وبين روسيا من جهة ثانية صاحبها الوعود والضمانات تمّ ضم كل من بولندا وهنغاريا وتشيكيا بشكل فعلي ورسمي إلى حلف الناتو أو ما يعرف بحلف شمال الأطلسي.

ومعلوم أن هذه الدول الثلاث كانت جزءاً من حلف وارسو بقيادة الاتحاد السوفياتي السابق، ومعلوم أيضاً أن حلف الناتو الذي أنشئ في عام ١٩٤٩م كان هدفه الوحيد المعلن هو مواجهة خطر الشيوعية واحتواء الاتحاد السوفياتي السابق، ودول أوروبا الشرقية المتحالفة معه في حلف وارسو. وضم في عضويته دول أوروبا الغربية الرئيسة والولايات المتحدة وكندا، أي دول جانبي المحيط الأطلسي الشمالي.

وقد فقد الحلف مبرر وجوده تماماً في مطلع التسعينيات مع اندثار الشيوعية وتهاوي الاتحاد السوفياتي البائد وحلّ حلف وارسو. إلا أن أميركا رأت في استمرار وجود الحلف وفي توسيعه مصلحة حيوية كبيرة لها في أوروبا بشطريها الغربي والشرقي. فبقيادتها العسكرية الدائمية للحلف، استطاعت أميركا أن تفرض نفوذها على كل دول القارة الأوروبية، لا سيما الدول الكبرى فيها كبريطانيا وفرنسا وألمانيا؛ وبتزعمها للحلف تستطيع أميركا تهديد روسيا باستمرار، وبالتالي تحجيم دورها العالمي والإقليمي؛ وبهيمنتها على أعمال الحلف العسكرية تتمكن أميركا من التدخل في المناطق المتوترة في أوروبا، وتزيدها اشتعالاً أو يزداد ثقلها فيها، كما هو حاصل الآن في البلقان وفي إقليم كوسوفا تحديداً. فحلف الناتو أصبح مطرقة أميركية تضرب بها من تشاء، وتلوح بها ضد من تشاء من الدول الأوروبية.

وتوسيع حلف الناتو أعطى لأميركا المزيد من النفوذ في القارة الأوروبية على حساب جميع دول القارة، فبحجة توفير ما يسمى بالمظلة النووية والأمنية لحماية أعضاء الحلف من أي هجوم نووي، أو هجوم عسكري يؤثر على وجود الدول المنضمة للحلف استطاعت أميركا أن تسيطر على شطر كبير واستراتيجي من قوة حلف وارسو السابقة، لأنه، بانضمام بولندا وهنغاريا والتشيكيا، تم تقديم قواعد وأراضي ومنشآت وإمكانيات هذه الدول العسكرية، على طبق من ذهب لخدمة المصالح الغربية عموماً والأميركية على وجه الخصوص. فمن الناحية العسكرية يعني انضمام الأعضاء الجدد اقتراب قوات الحلف من الحدود الروسية إلى مسافة ٦٥٠ ـ ٧٠٠ كيلومتر، وانضمام ١٣فرقة برية جديدة إلى القطاعات الموجودة، وستكون قيادة الأطلسي قادرة على استخدام ٢٥٦ مطاراً في الدول الثلاث، ما يجعل المدن الروسية الكبرى في متناول الطيران التكتيكي الأطلسي.

ومع أن أميركا كانت قد وعدت روسيا بأن توسيع الحلف لن يتسبب في إيذاء روسيا وتشكيل خطورة عليها، وتعهدت لها بأن حلف الأطلسي سيمتنع عن وضع ما سمي بـ "قوات محسوسة" تشكل خطراً على روسيا، إلا أن انضمام هذه الدول بشكل رسمي وفعلي للحلف يعني تراجع أميركا عن وعودها لروسيا، ويعني أن تعهدها بعدم وضع قوات محسوسة على مقربة منها كان مجرد كلام في الهواء احتالت به أميركا على روسيا لتخفيف اعتراضها وامتصاص مشاعر الكبرياء لدى نواب الشعب الروسي، فأمريكا لم تعد تحسب حساباً لا لروسيا ولا للشعب الروسي ولا لنواب هذا الشعب، فقد صرحت وزيرة الخارجية الأميركية مادلين أولبرايت عشية انضمام الدول الثلاث للحلف: "إن قبول الأعضاء الثلاثة الجدد في الحلف يهدف إلى الحيلولة دون تكرار حالات سابقة فيها كانت دول أوروبية تداس بأرجل ستالين الدموية" وفي ذلك إشارة إلى تدخل الروس السافر في دول أوروبا الشرقية التي تعتبرها دولاً تابعة لها.

لقد ثبت أن موقف روسيا إزاء توسيع الحلف هو موقف العاجز، فالبساط يسحب من تحت أقدام الروس، تم تحويل وارسو، وهي عاصمة حلف السوفيات السابق، إلى عاصمة ثانوية من عواصم دول حلف الناتو. هذا الموقف الروسي الهزيل إزاء توسيع الحلف بما يحمل من استفزاز صارخ لروسيا يدل على مدى الوهن الذي دبّ في جسم الدولة الروسية، ما يجعلنا نستطيع القول وبلا أدنى تردد بأن روسيا قد فقدت دورها العالمي تماماً وها هي تفقد دورها الإقليمي، خاصة بعد خسارتها الأخيرة لمعظم نفوذها الاقتصادي في الجمهوريات المسلمة السابقة التابعة للاتحاد السوفياتي السابق، لصالح النفوذ الأميركي الاقتصادي الكاسح لا سيما في دول منطقة بحر قزوين.

وكما هو ملاحظ من إشارات، فإن أميركا ستسعى في اجتماعات حلف الناتو القادمة لتوسيع دور الحلف الميداني لتشمل نشاطاته أوسع من أوروبا، ولتعديل ميثاق الحلف وتضمينه بنوداً جديدة، تعطي الشرعية لدور الحلف الجديد، من دون الرجوع إلى أروقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وذلك لتكريس دورها كسيد بلا منازع لأوروبا وللعالم على حدٍ سواء.

ثانياً: تطوير حلف الناتو

بعد أن أخفقت أوروبا في إيجاد قوة عسكرية أوروبية بديلة عن قوة حلف الناتو، وبعد اضطرارها للتسليم بضرورة الإبقاء على حلف الناتو كقوة عسكرية ضاربة، حاولت فرنسا أن تشق الحلف وأن تجعل له قيادتين: واحدة أوروبية بقيادة فرنسا وألمانيا تتحمل المسؤولية في الدفاع عن أوروبا، والثانية أميركية تتولى المسؤوليات ذات الطابع

غير الأوروبي الأكثر عالمية. ولكن أولبرايت وزيرة الخارجية الأميركية رفضت الفكرة وقالت قبل انعقاد مؤتمر واشنطن الأخير للدول التسع عشرة الأعضاء في الحلف: «إن أميركا ستحاول وأد هذا المفهوم في مهده خلال قمة واشنطن» وهذا ما حصل بالفعل فقد تم وأد الفكرة وإلى الأبد، ولم تفلح فرنسا في مسعاها وسكتت على مضض واعترفت بقيادة أميركا الوحيدة للحلف. أما بريطانيا فأبصرت طريقها منذ البداية، ووقفت إلى جانب أميركا بقوة، وشاركتها في موقفها من تطوير الحلف، وأظهرت نفسها وكأنها القوة الثانية فيه.

لقد كانت حرب البلقان المبرر المناسب لأميركا لتفعيل دور الحلف وتكريس دورها كقائدة شرعية للحلف، فقد قال الرئيس الأميركي كلينتون: «إن الأزمة في كوسوفو أكدت أهمية حلف الأطلسي وأكدت ضرورة تحديث تحالفنا استعداداً لتحديات القرن الحادي والعشرين»، وأضاف: «سوف نتبنى اليوم خطة شاملة لعمل ذلك لكي يمكن للحلف أن يعزز الأمن والحرية ٥٠ عاماً أخرى بدعم قدرتنا على معالجة الصراعات خارج حدودنا» وهذا ما يفسر طول نفس أميركا في التعامل مع أزمة كوسوفا ويفسر تركيزها على استخدام قوة الحلف العسكرية في فرض أي اتفاق سلام في إقليم كوسوفا، فالمهم عند أميركا هو استخدام قوة الحلف، وليس المهم عندها نوع السلام المراد الوصول إليه، ولعل مقولة تشرتشل القديمة: «إن منطقة البلقان تنتج التاريخ أكثر مما تستهلكه»، قد استخدمت الآن في خلق أحداث هامة قد يبنى عليها قواعد دولية جديدة.

وفي مؤتمر واشنطن لدول الحلف الذي انعقد في الذكرى الخمسين لولادة الحلف، فرضت أميركا رؤيتها السياسية للحلف على المشاركين وكان من أبرز ما خرج به المؤتمر فكرتان خطرتان هما: ١ـ إدارة الأزمات ٢ ـــــ تعزيـــــز المشاركة.

وبناء على هاتين الفكرتين يستطيع الحلف التدخل في شؤون أية دولة أوروبية حتى ولو كانت من دول الاتحاد السوفييتي السابق، وقد وضح ذلك خافيير سولانا الأمين العام للحلف حيث قال: إن الجمهوريات المنبثقة عن الاتحاد السوفييتي السابق هي جزء من المنطقة المشمولة "ب" وهي المنطقة الأوروبية ـ الأطلسية. فبحجة إدارة الأزمات تتمكن أميركا من دسّ أنفها في كل تلك الدول، وبحجة تعزيز الشراكة تستطيع أميركا ربط روسيا وحليفاتها المقربات منها، كروسيا البيضاء وأوكرانيا، ربطاً غير مباشر بحلف الناتو، وذلك عن طريق انتزاع موافقتها على ما تريده أميركا من القيام بأعمال عن طريق الحلف، وعن طريق ترضيتها ببرنامج المشاركة من أجل السلام، الذي تقدم أميركا من خلاله مساعدات وتبرز من خلاله دوراً شرفياً لروسيا.

وعلى ما يبدو فقد نجحت أميركا في توسيع الحلف وتطويره، وإضفاء الشرعية الدولية عليه، سواء أكان ذلك من حيث الكم أم من حيث المهام. أما من حيث الكم فقد انضمت ثلاث دول أوروبية شرقية كانت أعضاء في حلف وارسو المنحلّ وهي تشيكيا وبولندا والمجر، وها هي تسع دول أوروبية شرقية وسوفييتية سابقة تقف في الطابور تنتظر دورها للانضمام إلى الحلف وهي: رومانيا، وسلوفينيا، وبلغاريا، وسلوفاكيا، ومقدونيا، وألبانيا، وجمهوريات بحر البلطيق الثلاث: استونيا، ولاتفيا، ولتوانيا. وأما من حيث المهام فقد نجحت أميركا في تحويل الحلف من مهمة الدفاع عن أعضائه خلال الخمسين عاماً الماضية إلى مهمة التدخل في شؤون الدول، وخلق الأزمات وإدارتها، وبسط نفوذها على الدول. فقد انتقل الحلف من مفهوم الاهتمام بشكل رئيس بالدفاع الجماعي، وداخل حدود القارة والدول المتحالفة. إلى مفهوم أوسع إذ أصبح «ضامناً للأمن وللقيم الديموقراطية في أوروبا» كما قال أمين عام الحلف سولانا. وتوسعت اهتمامات الحلف من الدفاع عن (الأراضي المشتركة) إلى الدفاع عن (المصالح المشتركة)، ما يسمح للحلف بالتورط في مناطق كثيرة في العالم مثل الشرق الأوسط، وكوريا وإفريقيا بحجة أنها تمس مصالح الحلف.

إن قيام الحلف بقيادة أميركا بهذا الدور الجديد وسكوت المجتمع الدولي عليه يعتبر نقطة تحول أساسية في العلاقات الدولية، بل تكريساً حقيقياً لما يسمى بالنظام العالمي الجديد، الذي بشّر به بوش بعد حرب الخليج ولم يتمكن آنذاك من وضع آليات لتنفيذه.

إن استمرار اشتعال الحرب في البلقان وما يصاحب هذا الاشتعال من مضاعفات وآثار وظلال يساعد أميركا في إرساء دعائم جديدة في العلاقات الدولية ويبرز حلف الناتو كأولى هذه الدعائم. على أن إبراز حلف الناتو بشكل قوي في النظام العالمي وفي العلاقات الدولية لم يحجب بروز دعامة أخرى لذلك النظام ولتلك العلاقات لا تقل أهمية عن حلف الناتو إلا وهي مجموعة دول الثماني ـ وهي الدول الصناعية السبع أميركا، كندا، اليابان، بريطانيا، فرنسا، ألمانيا وإيطاليا وروسيا ـ بوصفها آلية جديدة فاعلة في تصريف الشؤون الدولية. ولقد تأكد دور مجموعة الثماني هذه في اجتماع قمة بون الأخيرة ثم في اجتماع وزراء خارجية الدول الثماني، فقدأعطيت دوراً سياسياً بارزاً في حل مشكلة كوسوفا كما كانت قد أعطيت أدواراً سياسية أخرى من قبل. إلا أن دور روسيا ضمن مجموعة الثماني لا يزيد عن كونه دور شاهد الزور الذي يقبل بما تريده أميركا، ولكن من خلال وضع شرفي يضع روسيا في مصاف الدول الكبرى، بينما النتيجة واحدة وهي أن موافقة روسيا في مؤتمر بون للدول الثماني على إدخال قوات عسكرية إلى كوسوفا، يؤكد أن حلف الناتو بقيادة أميركا أضحى منذ الآن ركيزة من أهم ركائز المجتمع الدولي.

وببروز حلف الناتو كقوة عسكرية وسياسية جديدة، وببروز مجموعة الدول الثمانية على الساحة الدولية تم إضعاف دور الأمم المتحدة وسلب صلاحيات كبرى منها، إذ برغم أن عمليات الحلف ستكون تحت سلطة مجلس الأمن، إلاّ أنه وضعت استثناءات كما هو حاصل الآن في البلقان. وبات أمر المجتمع الدولي مقبلاً على وضع جديد لم يعهد من قبل.

ثالثاً: لعبة الانتخابات في الجزائر

بمجرد الإعلان عن فوز مرشح الجيش عبد العزيز بوتفليقة وهو المرشح الوحيد الذي خاض الانتخابات الرئاسية المزورة في ٩٩/٤/١٥ بدأ بوتفليقة حكمه بمغازلة أميركا فأرسل إشارات ودية إلى واشنطن ودعاها إلى تقوية علاقاتها الاقتصادية والفلاحية مع الجزائر، ولكن الإدارة الأميركية لم تتجاوب مع إشاراته فقد أعرب جيمس روبن الناطق باسم الخارجية الأميركية عن خيبة أمل الإدارة الأميركية من نتائج الانتخابات، وأعلن أن الجزائر قد أهدرت فرصة سانحة لعودة الديمقراطية، وركز روبن في بيانه عن الانتخابات الجزائرية على انسحاب المرشحين وضعف الإقبال على التصويت وعلى عدم وجود مراقبين دوليين وقال بأن مسعى الإدارة وما يعمل عليه سفيرنا في الجزائر يتمثل في تشجيع الديمقراطية وحكم القانون والإصلاح الاقتصادي.

وهذا الموقف الأميركي يدل على أن أميركا غير راضية من أسلوب الجيش في التحكم في السلطة بالرغم من محاولة بوتفليقة استرضاء واشنطن بعرض بعض المنافع عليها. أما الموقف البريطاني من الانتخابات الجزائرية فهو على النقيض من الموقف الأميركي تماماً، فقد نقلت جريدة الشرق الأوسط في ٣/٢٨ عن دريك فاتشيت وزير الدولة للشؤون الخارجية قوله بأنه لم يجد من ضرورة لحضور مراقبين دوليين وقال: "إننا لا ندعو الجزائر للقيام بما لا تقوم به بريطانيا. كما لا أعتقد أنه يجب أن نشترط لإجراء انتخابات حرة ونزيهة حتماً ضرورة حضور مراقبين دوليين في الوقت الذي يستطيع العالم متابعة ما يجري في الجزائر عبر مراسلات الصحافة الدولية"، ثم قال: "إن العالم يعيش اليوم في عولمة، وليس من السهل الإفلات من انتخابات مزورة، وأكد على عهد جديد من العلاقات بين بريطانيا والجزائر، وأعلن بأن بريطانيا ستفتح سفارة جديدة في العاصمة الجزائرية مع حزيران المقبل كإشارة للتعبير في علاقاتنا بهم".

إن هذا التناقض الواضح بين الموقف الأميركي الذي أصيب بخيبة الأمل من الانتخابات المزورة الخالية من مراقبين دوليين وبين الموقف البريطاني الذي أيد الانتخابات المزورة قبل الشروع بها يدل على اختلاف السياسات والمصالح الأميركية والبريطانية في الجزائر، فأميركا ومنذ بداية التسعينات رسمت خططها في الجزائر على أساس الانتخابات، فكانت الانتخابات محور سياساتها وأساس تدخلاتها، بينما بريطانيا كانت تركز على إيصال الجنرالات المؤيدين لها من زمرة بومدين، أو ما يسمون «جماعة وجدة».

وأما الموقف الفرنسي فهو وإن بدا أنه متفق مع الموقف الأميركي من حيث انتقاده لأسلوب إجراء الانتخابات، وبالرغم من مهاجمة بوتفليقة للموقف الفرنسي وتحذيره لفرنسا من التدخل في شؤون الجزائر إلا أن ثقل فرنسا اقتصادياً وثقافياً وسياسياً وعسكرياً في الجزائر يجعلها لا تأبه بالديمقراطية والانتخابات الجزائرية لأن مصالحها تتعرض للأذى الشديد إن فقد الجيش السيطرة على السلطة. فجنرالات الجزائر خدموا في الجيش الفرنسي قبل الاستقلال، وتخرجوا في المعاهد العسكرية الفرنسية، ولهذا لا عجب أن أمدّتهم بالأسلحة في حربهم الاستئصالية ضد المجموعات المسلحة. وأما انتقاداتها للانتخابات المزورة فهي انتقادات شكلية وغير حقيقية.

إن إجراء الانتخابات في الجزائر، وتزويرها للإتيان ببوتفليقة، وهو من زمرة بومدين، يشير إلى تنسيق العمل السياسي بين بريطانيا وفرنسا لمواجهة النفوذ الأميركي في القارة الإفريقية. وقد خططت وزارتا الخارجية في كل من بريطانيا وفرنسا لتنسيق سياساتهما في إفريقيا، وفي هذا الإطار يندرج ترتيب زيارات مشتركة للديبلوماسيين البريطانيين والفرنسيين في الدول الفرانكفونية وهي المستعمرات الفرنسية السابقة، ودول الكومنولث وهي المستعمرات البريطانية السابقة.

إن سيطرة العسكر على الحكم في الجزائر مستمرة منذ استقلال الجزائر عن فرنسا عام ١٩٦٢، ومن غير المأمول أن تنجح أية محاولة انتخابية في تخليص الجزائر من حكم العسكر، فكل الرؤساء الذين تبوؤا الحكم في الجزائر قد أفرزتهم المؤسسة العسكرية. فبن بللا أول رئيس للجزائر قد أتى به الجيش للحكم، ولما سار مع عبد الناصر وأميركا خلعه الجيش وأتى بهواري بومدين الذي فهم أصول اللعبة وتعاون مع الجنرالات في الحكم وقربهم منه ومنحهم كل المزايا التفضيلية حتى أنه لم يكترث بإيجاد مجلس للنواب ولو مجلس شكلي. وبعد موت بومدين في أواخر السبعينات اختار الجيش الشاذلي بن جديد باعتباره أحد الجنرالات الأكبر سناً وسار بن جديد على نهج سلفه في البداية، إلا أنه وفي نهاية الثمانينات، وبعد تعرضه لضغوط أميركية شديدة سمح بالانفتاح على أساس التعددية ففازت الجبهة الإسلامية للإنقاذ، فتحرك الجيش سريعاً بإسناد فرنسي وقام بعزل بن جديد وإلغاء الانتخابات، واستقدم محمد بوضياف من الخارج ونصّبه رئيساً للبلاد بحجة ما يمتلكه من رصيد (نظيف) في بداية الثورة الجزائرية. ولكن بوضياف لم يقبل بأن يكون مجرد دمية للجيش فحاول اللعب مع الجيش وبدأ بمحاولة محاربة الفساد المعشعش في المؤسسة العسكرية فقتلوه، وأتي بعلي كافي ونُصب رئيساً باعتباره من قدامى المحاربين ورئيساً لـ (منظمة المجاهدين) وله ماضٍ مقبول على مستوى البلاد إلا أنه لم يتحمل طلبات الجنرالات فانسحب من الرئاسة بهدوء، وأخيراً وقع اختيار الجيش على اليمين زروال وهو عسكري متقاعد فعين رئيساً للبلاد، ولما حاول زروال أن يوجد له نفوذاً في الجيش وفي الشعب معاً وخاض انتخابات مفبركة سنة ١٩٩٥م وفاز فيها بالطبع، حاول بعد فوزه أن يوسع من سلطاته في الجيش بتعيين ضباط تابعين له ومحاولة إبعاد الضباط المعارضين لسياساته اصطدم برئيس الأركان محمد العماري الذي يعتبر الحاكم الحقيقي للبلاد وبرئيس المخابرات محمد مدين واحتدم الصراع بين الطرفين وغدا ظاهراً للعيان وأسفر هذا الصراع عن إزاحة أبرز جنرالين موالين لزروال وهما

محمد بتشين ومحمد بعبيش فخسر زروال المعركة ما اضطره إلى تقليص مدة ولايته فانسحب من الساحة انسحاباً مشرفاً بدلاً من إقالته وعزله. ووقع اختيار الجيش هذه المرة على بوتفليقة، فقد نقل الصحفي رياض الصيداوي في مقال له نشرته جريدة الأيام في ٩٩/٣/٢٠م أن صحيفة لوكانار أنشينيه الصادرة في ٩٩/٢/١٦م ذكرت "أن مكالمة هاتفية تنصتت عليها الاستخبارات الفرنسية جرت بين الجنرال العماري والقائم بالأعمال العسكري في سفارة الجزائر في باريس الجنرال صنهاجي في يوم ٩٩/١/٤ مفادها أن العماري طلب من صنهاجي التدخل لدى صديقه سيد أحمد غزالي للتخلي عن ترشحه لمصلحة بوتفليقة".

فجنرالات الجيش الجزائري وأبرزهم العماري ومدين ومن وراء الستار الجنرال خالد نزار هم الذين يتحكمون بمقاليد السلطة وهم الحكام الحقيقيون للبلاد وهم وغيرهم من قبلهم الذين أتوا برؤساء الدولة الجزائرية السبعة بدءاً من بن بللا وانتهاء ببوتفليقة، وهذا أمر لم يعد خافياً على المطلعين، ولعل ما جرى في الانتخابات الأخيرة من مهزلة انتخابية لهو الأسوأ في كل ما جرى قبلها من حيث التزوير والتلاعب، فقد تأكد للمواطن الجزائري العادي وقوع التزوير على قدم وساق حتى أن المرشحين الستة الذين هم من الوسط السياسي نفسه الذي أتى منه بوتفليقة، قد اضطروا للانسحاب من الانتخابات ليحفظوا ماء وجوههم أمام منتخبيهم، فقد قال أحمد الإبراهيمي وهو من المرشحين الأوفر حظاً: "إننا نريد من الشعب أن يعين رئيسه وليس من مجموعة أشخاص". ولذلك لم يكن غريباً أن يقاوم الجيش الجزائري بأركانه وجنرالاته وضباطه النفوذ الأميركي الذي يعني بالنسبة لهم إقصاءهم عن السلطة وإبعادهم عن الامتيازات التي يتمتعون بها، ولم يكن غريباً أيضاً أن تقف فرنسا إلى جانب الجيش للدفاع عن مصالحها المتجذرة في الجزائر، وأن تقف معها بريطانيا لمواجهة النفوذ الأميركي الزاحف ليس فقط على الجزائر، بل وعلى كل دول الشمال الإفريقي والقارة الإفريقية ❑

تعقيب على مقالة :
« تأملات في كتاب أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة »

أثارت المقالة المنشورة في مجلة الوعي العدد (١٤٤) تحت عنوان «تأملات في كتاب: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة» للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، موجة من التعليقات. فمن قائل إن المقال كان فيه قسوة على الشيخ، ومن ناصح أن الشيخ علم من أعلام الفكر الإسلامي، وله مؤيدون، وإن المقال سيلاقي استهجانهم، ووردنا كتابة تعقيب من الشيخ عثمان صافي، نورده فيما يلي دون تعليق.

نقدر لصاحب المقالة غيرته على إسلامه، فقد أطلعنا على فكرة خطرة، بل لعلّه لا يعدلها شيء خطورة، ولا يفي ـ بالتالي ـ بشأنها مقالة تنشر في مجلة. وتبلغ الخطورة درجة أننا لو افترضنا شخصاً تجرأ واتهم صاحب الكتاب المردود عليه بأكثر من الانحراف، لما جاز أن يُتهم في دينه. وفي المقالة التي نشرت في مجلة الوعي ما يغني عن التوضيح حول هذه النقطة.

القضية باختصار، أن الكتاب المردود عليه ينم عن أن كاتبه ـ ومن يحمل معه هذا الرأي ـ يعاني من وضع انهزامي، وإلا فما معنى أن يتخاطر له أو لسواه فكرة إبدال الفقه الإسلامي بسواه معاصر ومتطور. ولعل أول ما يوجه إلى هذا الكاتب ـ ومن تراوده فكرته ـ سؤال: هل عُمِلَ في الفكر الإسلامي الموروث، ووُجد من جراء تطبيقه ما نعاني من فشل؟ أم أن الأمر على نقيض ذلك؟ أي إنه لم يوصل أمة الإسلام إلى ما وصلت إليه وما تعاني منه إلا إغفال هذا الفقه وتعطيله، وليس العمل فيه. فكيف يستنكر منهج حياة لا يعمل به مع أنه سبق له أن أنقذ أمماً.

ومن البديهي أن الفقه المقترح ـ ويسمونه أحياناً الفقه المرحلي ـ هذا الفقه لا بد سينبني على تنازلات تمس رسالة الله عز وجل، بل تعطل ما تعطل منها. فالمبدأ الذي سينبني عليه هذا الفقه هو مبدأ «تراجعي». والسؤال البالغ الخطورة هنا: كيف يتأتى أن يكون التراجع عن المبدأ خادماً له؟!

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الله تعالى أنبأنا أنه أنزل وحيه على نبيه ﷺ كافياً وموفياً، وأوجب العمل به دون مساس أو زيادة أو نقص أو تحريف أو تعديل، حتى قيام الساعة. قال الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾.

ثم من المصرح به في كتاب الله عز وجل أنه حظر أشد الحظر أن يعبث في الدين: ﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾. كما أن رسول الله ﷺ أمر بالاتباع ونهى عن الابتداع في أحاديث معروفة. وعلى هذا مضى السلف الصالح رحمهم الله منذ صحابة رسول الله ﷺ وحتى أيامنا هذه، مع بعض التجاوزات التي لم تبلغ ما بلغه صاحب فكرة الكتاب. لماذا؟!

إنه مما ينبغي أن يُفهم ويكون واضحاً لدى القاصي والداني أن «دين الله» ليس محض النصوص من كتاب وسنة، ولكن «دين الله» يشمل الاجتهادات التي لم تفتأ تصدر عن أهل العلم، ابتداء من صحابة رسول الله ﷺ ومروراً بالمجتهدين في جميع الأزمنة، وحتى أيامنا هذه.

أقول: إن الذي ينبغي أن يُعلم أن ما يسمى «دين الله» يشمل النصوص وتلك الاجتهادات التي هي ما يطلق عليه «الفقه الإسلامي».

الذي نخلص إليه أن أي تجرؤ على ادّعاء إبدال الفقه الموروث سيعني بالضرورة إلغاء هذا الفقه الذي تبين أنه هو الدين، لكونه ينتظم الأحكام الشرعية التي يجب على المسلمين الأخذ بها والعمل بها، كما أنه ليس لكل مسلم أن يأخذ أحكامه الشرعية من النصوص بمزاجية وبغير علم. ومما نقله إلينا التاريخ، أنه مرت فترة ضعف فيها الاجتهاد واضطرب الفهم، ولكن لم يُروَ قط أنه ارتؤي إنشاء فقه جديد، بل أوجب أهل العلم الالتزام بالاجتهادات التي سبقت للأئمة. وبهذا المعنى يقول صاحب جوهرة التوحيد للإمام «اللّقاني»:

« فواجبٌ تقليدُ حَبْرٍ منهُمُ
كذا حَكَى القومُ بلفظٍ يُفهِمُ».

على أن الأمة الإسلامية تجاوزت محناً من هذا القبيل وكانت تتخطاها مع حفاظ كل أقطاب العلم على ما ورثوه من أسلافهم في تطبيقهم لقواعد العلم وأصول الفقه ومنهج الاجتهاد، حتى كان أشد تلك الأزمات ما حدث في أواخر عهد الدولة العثمانية، فمنّ الله تعالى بأئمة أكفياء في الفقه وأصوله، فلم يبدلوا شيئاً لمن سبقهم، واجتهدوا ـ رحمهم الله ـ ولكن على ما بناه أسلاف أئمتهم ومن تلقوا عنهم العلم، وحينذاك صدر من يسمى «بالمجلة»، وهي قواعد شرعية استنبطت في مجموعها من الأدلة الشرعية، وآراء الفقهاء السابقين، ومثلت مرحلة من مراحل استمرارية الفقه الإسلامي وظل يُعمل بها حتى بعد سقوط الدولة العثمانية، بل كانت ـ إضافة إلى الفقه الإسلامي العام ـ من أهم المراجع لفقهاء القانون في الغرب، وعن طريقها جرى حلّ ما لا يحصى من المشاكل الحياتية.

وهكذا نخلص إلى القول بأن المعضلة لا تتمثل في عدم صلاحية الفقه الذي يعم العالم الإسلامي وغير الإسلامي أيضاً، ولكن بتعطيله، وذلك لأسباب كثيرة معروفة، منها ما هو راجع إلى هبوط الفكر الإسلامي الفقهي، ومنها ـ بل على

رأسها ـ محاربة هذا الفقه من الاستعمار الذي سدد أشد ضربة عليه حين غزا العالم الإسلامي واستأصل أحكامه الشرعية من الحياة ومن المحاكم ومن المدارس، وأبدله بما نقل إلى بلاد المسلمين من أفكار، وأنظمة هي في حقيقتها فقه غربي إن صح التعبير، وهو صحيح.

ولا ضرورة لأن نستقصي أسباب الوضع المضطرب والمتخلف، لمتابعة استمرارية الحفاظ على حيوية الفقه والاجتهاد، حتى بلغ الحال اقتراح ما يسمى بالاجتهاد الجماعي، ومنه ما يحدث فيما يسمى المؤتمرات الإسلامية.

غير أن حالاً مؤسفة ـ وتشبه أن تكون قاتلة ـ نعاني منها، تتمثل فيما روي عن النبي ﷺ في إجابته على سؤال عن الساعة، فقال: «إذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة»، وفسّر تضييع الأمانة بالقول: «إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

هناك تفصيلات ليس من غرضنا الدخول فيها، ولكننا نختصر القول أن الله تعالى أنزل وحيه على رسوله ﷺ وأمره بتبليغه وألزم البشرية بأسرها أن تلتزم به على ما نزل دون أي انحراف عنه ولأي سبب. ولو أننا راجعنا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺآية آية وحديثاً حديثاً لما وجدنا أثراً للسماح بإجراء أي تغيير على ما أنزل الله تعالى. ويذهب بعيداً في الوهم من يظن أن ما يواجهه المسلم بمفرده أو المسلمون بجماعتهم في طريقهم إلى حمل دعوة الله تعالى، من عقبات أو معاناة أن مثل هذا يبيحلهم أن يعبثوا في الدين تغييراً وتبديلاً.

ولكن الذي أمرنا به أن نسمع ونطيع ونعمل ونتكل على الله تعالى ونفوض أمورنا إليه ونصبر على ما يواجهنا تحملاً للأذى ـ والأقدار بيد الله تعالى ـ وليس لنا أن نفرط في ما كلفنا به. فالأمر بيد الله عز وجل، والله ناصر من ينصره وخاذل من يخذله.

و﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾. ونسأل الله تعالى عافيته، وصلى الله على سيدنا محمد □

الشيخ عثمان صافي
طرابلس/لبنان

وَدِّعْ ... ولا تَوَادِعْ !!

اعتقلت السلطات الغاشمة في أوزبيكستان مجموعة من حملة الدعوة الإسلامية، الذين يعملون مع حزب التحرير بالطريق الفكري والسياسي لاستئناف الحياة الإسلامية بإيجاد دولة الخلافة الراشدة، وقد قتلت أحد هؤلاء الشباب عمر علييف تحت التعذيب الشديد تنفيذاً لتهديد رئيس أوزبيكستان اليهودي الكافر إسلام كريموف، بقتل المئات من هؤلاء الشباب من أجل استئصال هذه الدعوة المباركة، وأنى له ذلك ، ومسلمو أوزبيكستان، كغيرهم من مسلمي العالم، يتشوقون للعيش في ظلال راية القرآن، ويعمل الكثيرون منهم من أجل تحقيق هذه الغاية العظمى، التي أصبحت قريبة بمشيئة الله وفضله. وهذه قصيدة في رثاء الشهيد عمر علييف.

وَدِّعْ ... ولا تَوَادِعْ !!

وَدِّعْ مَهَابَـةَ طَـاغُوتٍ وأوثَـانِ ... لِتَبْعَثَ الفجرَ مِنْ أشلاءِ أكفانِ
حطِّمْ بِيُمْنَاكَ سُورَ المستحيل، أَبِدْ ... وَهْمَ السُجون، وأَرْبِكْ كلَّ سَجَّانِ
وَلْتَحْقِرِ النارَ، فالأُخْدُودُ تَرْدُمُهُ ... أجسادُ مَنْ صَدقوا المولى بإيمانِ
حَرِّرْ ولاءَكَ وابْرَأْ مِنْ ضَلالَتِهِمْ ... إرفعْ نداءَكَ، أَسْمِعْ صُمَّ آذانِ
ضَعْ تحتَ رجْلِكَ مَا للكفر مِنْ مَدَدِ ... وَارْكُلْ ظلاماتِ حُكَّامٍ وتيجانِ
إِنْ أَوْقَفُوكَ فقدْ أَطْلَقتَ زوبعةً ... منْ قُمْقُمِ القَهْرِ، لنْ تُمْنَى بخذْلانِ
إِنْ عذّبوكَ فقدْ عذَّبْتَ أعينَهُمْ ... فلا قرارٌ ولا نومٌ لأجفانِ
إِنْ أعدَموكَ فقدْ أعدَمْتَ هَيبَتَهُمْ ... وقُلْتَ للكفر: مُتْ أَحْكِمْ بقُرآنِي

●●●

أنتَ الشهيدُ، بإذنِ اللهِ، يا ... فارْقَ الجِنانَ «عَلِيّاً» غَيْرَ ظَمْآنِ
«عمرٌ» خَليفَتانِ شهيدانِ احْتَوَيْتَهُما ... في الاسمِ، أَبْشِرْ بفَأْلٍ منْ دَمٍ قانِ
شِئْتَ الخلافةَ أَنْ تُعْلَى بيارقُهَا ... ويزهَقَ الشركُ في دستورِ شَيطانِ
عاهَدْتَ ربَّكَ أَنْ تَقْضِي دويلَتُهمْ ... ليَنْهضَ الحقُّ منْ أنقاضِ بُنْيَانِ
عاهَدْتَ ربَّكَ أنْ تَجْتَثَّ شوكَتَهُمْ ... لِتَشْبتَ الأرضُ عُبّاداً لدَيّانِ
مَنْ يعشقِ النّورَ لا يَرضَ البديلَ لهُ ... أَيُعْمِضُ الجَفْنَ عن زورٍ وبُهْتانِ؟
شَقَقْتَ ثَوْبَ الدُجَى بالفِكرِ تَحمِلُهُ ... لا بالسيوفِ - وكانتْ قيدَ إمكانِ

●●●

وسلعةُ اللهِ - يا بُشْرَاكَ - غاليةٌ ... وهلْ يُوازي جنانَ الخُلْدِ مِنْ ثانِ؟
يا صِنْوَ «حمزَةَ» حُبُّ اللهِ أوجبَهَا ... نصيحةٌ قدْ تلاهَا سيفُ سلطانِ

عَهداً، على الدربِ نبقَى، لا موادَعَةٌ ... للظالمينَ، ولا نَقْضٌ لأَيْمَانِ
عَهداً، على الدربِ نبقَى، أو سَنَمْلُؤُهَا ... جثمانَ ذِي جُرْأَةٍ ... في إثرِ جثمانِ
لا سجنَ، لا ضربَ، لا تشريدَ يَمنعُنَا ... سَنَخْرقُ الموجَ ممزوجاً بنِيرانِ
سَنعبُرُ البَحْرَ مهمَا أُعْرِقَتْ سُفنٌ ... وأُطلِقَتْ حممٌ منْ كلِّ بُرْكانِ
حَتى يُتمّمَ هذا النورَ خالقُهُ ... ويظهرَ الحقُّ، يعلو كلَّ أديَانِ
ويومَذاكَ أنوفُ البَغْيِ صَاغِرَةٌ ... ومِلَّةُ الكفر تَبكِي مجدَهَا الفَانِي

أيمن القادري

«الانتخابات الإسرائيلية»

منذ إخفاقه في الالتزام بتنفيذ اتفاقية ‹‹واي ريفر›› كان على نتنياهو أن يتنحى عن الحكم، وكان على حزب الليكود أن يعيد النظر في فكرة ‹‹أرض إسرائيل الكبرى››. وبالفعل فقد اضطر نتنياهو إلى تبكير موعد الانتخابات، فخسرها هو وحزبه وكسب حزب العمل بقيادة باراك معركة الانتخابات لأنه انحنى أمام العاصفة، وخضع للضغط الأميركي، وقبل باستئناف المسار السوري وما يترتب عليه من انسحاب إسرائيل من جنوب لبنان ومن هضبة الجولان؛ وما وعْد باراك بالانسحاب من لبنان خلال عام سوى وعد لأميركا بالعمل على انسحاب إسرائيل من الجولان، وقد بدأت تباشير الانسحاب بانكفاء الميليشيات العميلة من جزين خلال أسبوع أو أسبوعين.

لكن مجال المناورة أمام باراك وحزبه ضيق جداً، فهو لا يستطيع القيام بمغامرات جديدة مع الأردن والفلسطينيين على غرار اتفاقات أوسلو ووادي عربة بعيداً عن أعين الأميركيين، لأن الظروف قد تغيرت عما كان عليه الحال إبان حكم رابين/بيريس، فهذه الاتفاقات قد تم وضع اليد عليها أميركياً، ولم يعد هناك فراغ ممكن النفاذ من خلاله. ووضع الملك عبد الله من الضعف بمكان بحيث لا يملك الحنكة في حبك المؤامرات كأبيه، فهو مضطر لمراضاة الكل؛ ولأن وضع الأردن الاقتصادي من حيث الحاجة للدعم الأميركي يحول دون ارتمائه في أحضان إسرائيل وحدها خاصة وأن نفوذ كل من سوريا ومصر والسعودية على الأردن عاد لينافس النفوذ الإسرائيلي فيه.

إن هذا كله يعني أن هامش التحرك بعيداً عن النفوذ الأميركي ومجال المناورة لليهود قد ضاقا إلى أبعد الحدود. ويبدو أن باراك قد اختار جانب التنازل لأميركا على المسارين السوري واللبناني مقابل الحفاظ على تجميد المسار الفلسطيني أو جعله يراوح مكانه أو يسير بسرعة السلحفاة فلا يتقدم في شيء سوى في تكملة تطبيق بنود اتفاق ‹‹واي ريفر›› فقط، وقد أرسل رابينوفتش، رئيس الجانب المفاوض مع سوريا إلى واشنطن من أجل استئناف المفاوضات على المسار السوري، وتعالت أصوات بالتحذير من فخ التسابق بين المسارات ❑

كلمة أخيرة

الفضائيات الناطقة بالعربية

مع انتشار القنواتالفضائية الناطقة باللغة العربية تصاعدت وتيرة الانتقادات لما يُبثُّ فيها من برامج، وكانت حصة البرامج السياسية والفكرية من الانتقاد أكبر من غيرها، وفي جلسة ضمت بعض المثقفين من حملة الشهادات الشرعية والإسلامية دار الحوار التالي:

- سأل أولهم ما رأيك مولانا بالقنوات الفضائية؟
- أجاب الثاني إنها قنوات موجهة ومسيَّسة ومدعومة من قبل أنظمة حكم بعضها يسفر عن وجهه والبعض الآخر يخفيه إبعاداً للشبهة، فلا يستطيع أفراد امتلاك قناة فضائية، وبما أن هذه القنوات مرتبطة بالأنظمة فلا يتوقع من برامجها أن تخرج عما رسمه النظام، وإذا كان هناك هامش من الجرأة في إبداء الرأي السياسي فإن النظام يريد الوصول إلى غاية خفية لا يدركها عوام الناس، وقد تكون بلبلة أذهان المستمعين وتشويش أفكارهم حول قضايا إسلامية متعددة خاصة وأن في نهاية كل حلقة حوار تبقى الأمور معلقة ولا يوصف الدواء فيبقى المشاهد في حيرة من أمره لا يدري أين يكمن الحق وأين يكمن الباطل.
- رد عليه الأول: لكن يا أخي لا تنس أن فتح الحوار على القنوات الفضائية هي فرصة كانت تحلم بها الأمة منذ مدة طويلة وفيها إيجابيات كثيرة تجعل المسلمين يعتادون على سماع الرأي الآخر ومحاورة بعضهم حتى لو اشتد الحوار فيما بينهم فإن الرأي الأقوى يبرز ويهزم الرأي الآخر فيزداد الناس استنارة ونضجاً فيما يشبه بناء الجسد الذي ينتظر الرأس.
- أجاب الثاني: لكن ألا ترى من يُجلبون للحوار يُنتقون بحيث يكون ممثل الجانب الإسلامي ضعيفاً، وممثل الجانب المعادي للإسلام من أكثر الحاقدين على الإسلام وممن يقطرون سُمّاً عليه.
- رد عليه الأول: هذا الضعيف الذي قبل بحضور هكذا حوار يستحق أن يفضح أمام الرأي العام، فلماذا لا يتسلح فكرياًوسياسياً ويستعد مسبقاً لمثل هذا الظهور في مناظرة تلفزيونية.
- أجاب الثاني: هل فقدت هذه القنوات الفضائية القدرة على استحضار الشخصيات الموضوعية من غير الموتورين من دعاة العلمانية، ألم يجدوا في مصر كلها محاورين حتى لجأوا إلى مجلة روزاليوسف المعروفة بحقدها وعدائها للإسلام والمسلمين فاستعاروا منها بعض الناطقين بالرأي المعاكس فكانوا من الأفاعي الرقطاء سطحية التفكير؟

رد عليه الأول: فليجلبوا من يستطيعون، فالحق أبلج ولا يحجبه بعض التهريج الإعلامي، ثم لا تنس أن اتصالات المشاهدين تصحح الكثير من المفاهيم وتوضح الصورة أكثر والناس ليسوا في جهل مطبق حتى نخاف على عقولهم، كما أن المسلمين في بلاد الاغتراب يجدون في هذه القنوات رئة يتنفسون بها، وهم بأعداد لا يستهان بها، فلو لم تكن للفضائيات سوى هذه الإيجابية في مخاطبتهم باللغة العربية حتى لا ينسوها لكفى ❑

حجاب مروة قاوقجي مُزق عام ١٩١٤ م !!

- **ورد في كتاب بعنوان: «يهود الدونمة» تأليف كاتب من تركيا اسمه مصطفى طوران وترجمه كمال خوجه، وتم نشره عام ١٩٧٧ ما يلي:**

« الدونمة وحجاب المرأة المسلمة:

حاول الدونمة مراراً الجمع بين الرجال والنساء تحت سقف واحد قلم يُوفّقوا وإليكم نموذجاً من هذه المحاولات:

في الوقت الذي دخلت فيه الدولة العثمانية الحرب العالمية، وبالتحديد أيام إغراق بعض الزوارق البحرية في (زونفلداق) أراد الدونمة تنظيم حفلة ليلية في أحد المسارح ليعلنوا في هذه الحفلة إلغاء الحجاب وقضاء ليلة ممتعة يشترك فيها الرجال والنساء.

ولكي تكون حفلة السمر هذه عظيمة بذلوا كل الجهود الممكنة وهيأوا نساء أكثرهن من سلانيك [يهوديات] يحملن أسماء إسلامية.

وكان من المقرر أن يقوم هؤلاء النسوة بتمزيق الحجاب وهن على خشبة المسرح ويعلنَّ الثورة الاجتماعية. لكن حكومة ذلك العهد حالت دون هذه الثورة وفرقت كل من كانوا قد جمعوه في هذا السبيل.

زاد الدونمة من حدة دعاياتهم فنشروا رسائل وكتباً وأعلنوا الحرب على الحجاب عبر المجلة الجديدة مُدَّعين بأن الحجاب ليس من الإسلام في شيء واختلقوا الأكاذيب في سبيل إقناع الناس بأنه عادة يونانية.

لم يكتف هؤلاء بمهاجمة الحجاب، بل ضموا إليه كل الشعائر الإسلامية. وقد اغترت فئة من النساء في أول الأمر فصرن يترددن على محافلهم ومجتمعاتهم حتى وصلن أخيراً إلى الهاوية والسقوط، ولم يجرؤ أحد من الناس في هذه الفترة العصيبة على التعرض لهؤلاء في أية صحيفة أو مجلة ...» انتهى.

[الدونمة: هم مجموعة من اليهود الذين هاجروا من الأندلس إلى سلانيك وتظاهروا بالإسلام وانقضّوا على الخلافة العثمانية فهدموها وعلى رأسهم مصطفى كمال]

- **والآن ها هم أتباع النهج العلماني الكمالي وبعض أحفاد أولئك يعيدون الكرَّة، فرفضهم للحجاب ليس مُوَجَّهاً ضد مروة قاوقجي بالذات، ولا ضد الجهة الحزبية التي تنتمي إليها مروة، ولا هو ضد غطاء الرأس، وإنما هو مُوجَّه ضد الإسلام وكل رمز يشير إليه، فالحرب التي يشنها علمانيو تركيا ضد الإسلام تطال كل الإسلام، وكل مظاهره لعلمهم بخطورة تحرك المارد الإسلامي لهدم علمانيتهم الملحدة العفنة على رؤوس الماسونيين وبقايا الدونمة❑**